الفصل الثالث

التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب

الفصل الثالث

التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب

ما ورد علي الصفحات السابقة كان تحليلاً نظرياً لمفهوم الاغتراب، تم فيه التعرض لماهيه هذا المفهوم وأبعاده، وأنواعه، وأهم مظاهر وجوده، كذلك كان هناك تحليلاً لأهم العوامل والأسباب الكامنه وراء هذا المفهوم السلبي بمظاهره التي تكاد تدمر كل من الذات الإنسانية الفردية والمجتمعية، وهذا أدعي لاستكمال بلورة هذا المفهوم عبر التنظير الفلسفي والسوسيولوجي في بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة، في هذا الفصل، الذي ختم بمقابلة مع الإسلام والاغتراب، وكيف أنه مع انتهاج القيم الإسلامية سلوكاً وممارسةً في المواقف الحياتية على تنوعها ينتفي الاغتراب بمظاهره سواء على مستوى الذات الفردية أو المجتمعية.

أولاً : نظرية العقد الاجتماعي والاغتراب:

تقوم نظرية العقد الاجتماعي علي فرضيتين أساسيتين هما:(٦٣: ١٠١)

- وجود حقوق أخلاقية معينه يشترك فيها جميع الناس بصورة مطلقة.
- وجود حكومة معلقة بشرط قدرتها علي صيانة تلك الحقوق.

ولقد كرس فلاسفة العقد الاجتماعي أفكارهم في تحديد نوع الدولة وطبيعة العلاقات التي تقوم بين السلطة والحكومة، التي يمكن أن تحقق هدف الحكم، وهو تحقيق حرية الناس وأمنهم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي.

ولذلك فإن هذه النظرية هي تعبير فلسفي عن **رفض علاقات الإنتاج والنظام السياسي الإقطاعي** والتي تتمثل في ربط الإنسان الشريف، والقن معاً بالأرض، فتمنع علي القن مغادرتها، وكانت تلك العلاقات تناسب الطبقة البرجوازية التي **كانت تنمو في أحشاء النظام الإقطاعي** وكانت البرجوازية في حاجة إلي دعم ايديولوجي في معركتها مع الإقطاع المتحالفة مع الكنيسة الكاثوليكية، وقد تلقت هذا الدعم من محورين متكاملين هما:

- الفلسفة المادية والتفكير العلمي.
- نظرية العقد الاجتماعي.

ويعتبر كل من: "جون لوك J. Locke" و"هوبز T. Hobbas" من أهم من شهروا نظرية العقد الاجتماعي في وجه الإقطاع، وكان **جوهر هذه النظرية** يرتكز علي أن (**الحالة المدنية والمجتمع السياسي ككل يقوم علي أساس عقد بين ذوات حرة مستقلة تدخل في العقد علي أساس الحرية والمساواة، أي أن السلطة السياسية قامت لتوفير الأمن لأعضاء المجتمع علي قدم المساواة**، ليس فيه حقوق مقدسة أو موروثة ، وليس فيه سادة وعبيد ، ولا أشراف وأقنان).

هكذا ينظر للعقد الاجتماعي كنظرية ايديولوجية عميقة المغزى، تدعم حقوق الإنسان في المجتمع وحرياته في مواجهة السلطة، وتري أن واجب الجماعة السياسية هو تحرير الإنسان(١٠١: ٤٣- ٤٤)

ويتفق فلاسفة العقد الاجتماعي علي **أن الاغتراب بمعني التنازل عن الحرية الطبيعية لسلطة المجتمع السياسي هو ثمن الأمن الاجتماعي الذي يتحقق للإنسان في ظل المجتمع المدني**، حيث تقع مسئولية توفير الأمن علي

الدولة كما يقول "جان جاك روسو Rousseau": (كل مواطن يكون حينئذ مستقلاً عن رفاقه معتمداً بصورة مطلقة علي الدولة، وقوة الدولة تؤمن حرية أعضائها، وأن هدف الجماعة السياسية المنظمة هو حماية الإنسان من أي اعتداء محتمل عليه أو علي ممتلكاته).

وكانت هذه هي الفكرة المحورية في كل نظريات العقد الاجتماعي التي ناقشتها. وهكذا يري أصحاب نظرية العقد الاجتماعي أنه في المجتمع السياسي سياجاً يحمي أمن الإنسان ونسقاً طبيعياً للحرية، والتاريخ يشهد أنه حينما ينقسم المجتمع إلي طبقات ينشأ الخوف ويتولد العنف وانعدام الأمن ... ويرون أن المجتمع السياسي يقوم بحماية الثروات الخاصة وتوفير الأمن لأصحابها، إذ أن الاغتراب هو ثمن يدفعه المجتمع كله ليتحقق الأمن لطبقة الملاك ومزيداً من الاغتراب للذين لا يملكون، تلك هي طبيعة المجتمع المغترب، ومن ثم ينشأ الصراع الطبقي كظاهرة اجتماعية وليدة الاغتراب. وإذا كان مصدر الاغتراب هو الإرادة الاختيارية لإنسان حر ينشد الأمن في إطار الجماعة، ويتنازل عن كل ما يتمتع به في حالة الطبيعة ليتخلص من كل ما يعانيه من خوف وانعدام أمن فإنه يغترب للمحافظة علي نفسه وحريته بشكل أفضل. إذ أن مفهوم الأمن في نظرية العقد الاجتماعي هو الأمن العام بمعني حماية الفرد من أي اعتداء يعرض سلامته وممتلكاته للخطر، أي أن الناس يتنازلون ويغتربون عن حقوقهم نتيجة لإنعدام أمنهم وقدرتهم علي حماية أنفسهم في حالة الطبيعة، فالاغتراب والأمن، والحرية المقيدة في مجتمع مدني أفضل من حرية مطلقة وانعدام الأمن في حالة الطبيعة. ولكن في الواقع أن العقد بين طرفين غير متساويين يرغم

فيه الطرف الأقوى الطرف الأضعف علي أن يغترب عن كل شئ مقابل أن يستعبده(١٠١: ٦١-٦٤)

كان هذا هو واقع الاغتراب في نظرية العقد الاجتماعي وربما يزداد الأمر وضوحاً إذا تعرضنا لهذا المفهوم عند بعض مفكري وعلماء هذه النظرية ومنهم :-

١- "توماس هوبز T. Hobbas" والاغتراب:-

يري "هوبز Hobbas" أنه لكي يصل الإنسان إلي الأمن المنشود لابد أن يتنازل ويحول حقه الطبيعي في استخدام قوته الخاصة بطريقته الخاصة، لكي يحافظ علي حياته، وأن يفعل أي شئ علي مسئوليته لبلوغ هذا الهدف الأسمي، وحفظ حياته، ووقاية نفسه من أي أذي، **وأن يحصل مقابل تنازله عن حقه الطبيعي بإرادته علي حقوق مدنيه يكـفلها له المجتمع المدني، أهمها حقه في حياة آمنه،** أي يقوم **المجتمع المدني** الذي يمتثل أعضائه لقوانينه بهدف الحصول علي أمنهم الشخصي والاقتصادي في ظل **سلطة تحكمهم وتسيطر عليهم** ويشيع السلام في أرجاء المجتمع المدني الذي يوفر الأمن المشترك، ويكبح جماح الجوانب القتالية في طبيعة الإنسان، والتي غالباً ما تجعله في حال مواجهة مستمرة مع الآخرين، وتدعم الجوانب التعاونية والاجتماعية وتنمي رغبته في العيش في سلام معهم من أجل ما يجلبه هذا السلام من منافع. وهكذا تقوم الدولة علي أساس الاغتراب، **فيصبح المجتمع المدني قائم علي الاغتراب**

الجماعي ويستثني فرداً واحداً هو الحاكم الذي لا يتنازل عن قوته ولا عن حقوقه، فهو المشرّع الوحيد والقاضي الأعلى، وهو الحكم في كل نزاع، سلم أو حرب، وهو مصدر السلطات.

وهكذا كان "هوبز Hobbas" يصور مجتمعاً لا ينشغل بالخير المشترك أو الرفاة العام لأعضائه ، بل السعادة الخاصة لحكامه.(١٠١: ٤٦- ٤٩)

لقد كانت نظرية "هوبز Hobbas" في الاغتراب تعبر عن مرحلة صراع بين البرجوازية الصاعدة، والإقطاع العاجز، فجاءت تعبيراً عن الحاجة لسلطة مطلقة، ولم يعنيه رضا الناس عن الحكم ، أو قبولهم للأحكام بقدر ما كان يتطلع إلي الاستقرار الذي يؤدي إلي فرض السلام والأمن بقوة الحكم المطلق والأمن عنده صارم يحرص علي حياة الأفراد فلا يتعرضوا للموت(١٠١: ٦٧)

٢- "جون لوك J.Locke" والاغتراب:-

يري "جون لوكJ. Locke" أن جميع الناس متساوون، وأن الحرية الطبيعية للإنسان أن يكون متحرراً من أي قوة فائقة علي الأرض، وآلا يكون تحت إرادة أو سلطة فرد، والإنسان عند "لوك Locke" مجرد من أي انتماء طبقي، لا يتحدد وضعه أو ثرواته أو نفوذه أو قدره مسبقاً بأي قوة خارجة ، ويلاحظ أن هذه المساواة بمعني تكافؤ الفرص هي لا تلغي الفردية، وأن كانت تلغي الفروق الطبقية، وعلي أساس هذا التكافؤ يقيم "لوك Locke" حرية الإنسان العاقل الراشد، ومن ثم يؤسس "لوك" الدولة علي أساس الحق، والعدل وتحقيق

الأمن. ويري "لوك Locke" أن الناس جميعاً أحراراً ومتساوون ومستقلون، ولا يمكن لأحد أن يرغمهم علي أن يخضعوا لسلطة سياسية، وأن الطريق الوحيد لإقامة مجتمع مدني هو **أن يجرد كل فرد نفسه من حريته الطبيعية ويلبس روابط المجتمع المدني**، بأن يتفق مع غيره من الناس بأن يرتبطوا ويتحدوا في جماعة محلية منظمة من أجل راحتهم وأمنهم وحياة الشراكة السلمية مع الآخرين، في استمتاع مضمون بممتلكاتهم وأمن أعظم ضد كل ما هو خارجي.

ويري "لوك Locke" **أن الهدف الأساسي للدولة هو السلام والأمن بمعناه الأشمل**، ويتجاوز حدود إزالة الخوف من الموت والمعاناة أو الإيذاء البدنى الذي لا يكون بمقدورنا أن نوفره حين لا يكون هناك سلطة منظمة للمجتمع ، ويري "لوك Locke" أن الحكومات تستمد شرعيتها من حسن أداء وظيفتها الأساسية، وهي المحافظة علي حياة الناس وحرياتهم، واستقرارهم وثرواتهم التي اقتنوها بجهدهم، فإذا فشلت الحكومة أو انحرفت عن هذا الهدف، لم تعد حكومة شرعية حينذاك، وبذلك لا يكون من واجب المواطنين الولاء لها، بل يكون من حقهم التمرد عليها وتغيرها، وبهذا ألم "لوك Locke" بجوهر عملية الاغتراب وأقام نسقاً نظرياً شمل شروط الحياة الديمقراطية الاجتماعية والسياسية، وكشف جوهر عملية الاغتراب في صميم العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة، حين يضفي الإنسان من ذاته علي الأشياء التي يصنعها، وبين الإنسان والموضوعات الطبيعية إذا أخذت منه اغترابه عن ذاته، وبين الإنسان والسلطة السياسية إذا ما انحرفت عن واجبها كحارس أمين ووكيل شريف، وطرف في عقد حر يستمد شرعيته من وجوده.

أن قيمة نظرية "لوك Locke" في العقد الاجتماعي تقوم علي تأسيسه لحق الإنسان في السلام والأمن علي المساواة والحرية، فحيث لا يوجد حق لا يوجد ولجب وليس المهم قائمة الحقوق، وماذا احتوت، ومـــــاذا أغفلت، أنما المهم أن "لوك Locke" نظر للإنسان نظرة أخـــــلاقية سامية، ونظر للعمل باعتباره مصدر كل قيمة وأسس الملكية علي العمـــــل المنتـــــج، وأن مؤسسات الدولة ينبغي أن تقوم علي أساس الحرية، وأن يكون هدفها تحـــــقيق الأمن للجميع علي أساس أن أمن المواطن ورفاهة هو هدف الدولـــــة ومناط اهتمامها الوحيد(١٠١: ٥٠-٥٧)

لقد أسس "لوك Locke" العقد الاجتماعي علي أساس الرضا والاختيار وأن المجتمع السياسي ليس سوق مبادلة رأسمالي يقوم علي المنافســـــة لإرضاء المستهلكين، بل هو سوق قوة احتكارية تفرض نفوذها، وتحـــــدد الثمن الذي يتحتم علي المحكومين أن يدفعوه، وهو الاغتراب الكلـــــي وانعدام الأمن بأبعاده جميعاً فيما عدا الأمن العام، إذ أن توفير الاستقرار هو ضمان لرأس المال(١٠١: ٦٨)

٣- "جان جاك روسو J. J. Rousseau" والاغتراب :-

"يعتبر الفليسوف الفرنسي "جان جاك روسو" أحد الفلاسفة الذين تناولوا مفهوم الاغتراب بمعناه القانوني في نظريته العقد الاجتماعي وبمعناه النفس اجتماعي في إطار نقده للحضارة" (٣٢: ٣٠)

"لقد أدرك "روسو Rousseau " أن المجتمع الطبقي هو مجتمع مغترب، ويغترب فيه الكادحون عن كل شئ، حيث يجردهم الرأسماليون مما يملكون،

وإذا كانت الدولة توفر لهم حماية أرواحهم فإنما تفعل ذلك من أجل المحافظة علي سلامة أدوات الإنتاج ليظل الجميع مجرد آلات، وليكونوا في خدمة الطبقة الرأسمالية "(١٠١: ٦٤)

"ويقول "روسوRousseau " في كتابة العقد الاجتماعي، **أن الاغتراب معناه التسليم أو البيع، فالإنسان الذي يجعل نفسه عبداً للأخر، إنسان لا يسلم نفسه فحسب، بل هو بالأخرى يبيعها من أجل بقائه علي الأقل.** ولقد صور "روسوRousseau " الذات علي أنها منقسمة علي نفسها بصورة حادة وعميقة، فلا مفر من قهر هذا الانقسام والازدواج إلا عن طريق المكاشفة، ليتحقق وجوده تحقيقاً يتطابق وينسجم فيه الخارج مع الداخل أو الظاهر مع الباطن ، فإن هذه الدعوات تستهدف القضاء علي الاغتراب بمعناه السلبي ، وإذا نجح الإنسان في تحقيق ذلك أستطاع أن يكون واحداً مع نفسه، وأستطاع بالتالي أن يشارك مع إخوانه في أقامة مجتمع أنساني سليم"(٩٢: ٦٠)

كان "روسوRousseau " **يدعو الإنسان في عصره لأن يكون هو نفسه، وذلك لن يكون إلا إذا خلّص نفسه من أسرار الوجود الزائف، وكان الاعتراف عند "روسوRousseau " يستهدف كشف وإظهار للذات وتحقيقها في الوجود تحقيقاً أصيلاً،** وفي الوقت نفسه هي دعوة للآخرين للتخلص من كل ألوان النفاق الاجتماعي التي تحول بينهم وبين الكشف عن أفكارهم ومشاعرهم وأنفسهم، ومن ثم تمنعهم من أن يكونوا علي ما هم عليه في الحقيقة والواقع. ويري"روسوRousseau " **أن النظام الاجتماعي هو الذي عمل علي فصل الناس واغترابهم ليس فقط عن بعضهم البعض بل أيضاً عن ذواتهم**(٩٢: ٦٣- ٦٥)

ويري "روسوRousseau " **أنه ليس من حق أحد أن يغترب عن حريته أو يجرد نفسه منها**، لأنه مهما يكن التعويض الذي يناله مقابل ذلك، فإنه لن يكون عوضاً عن الحرية التي لا يعوضها شئ، ويري أنه باستطاعة الفرد أن يتنازل أو يتخلى عن جزء من ثروته دون أن يعاني الخزي، **ولكن إذا تنازل عن حريته لشخص ما، فإنه يحط من قدر نفسه، أما في حال تحويل السيادة إلي سلطة جماعية في إطار المساواة الكاملة، فإن الاغتراب هنا يكون مقبولاً فضلاً عن كونه ضرورة لوجود الجماعة، لأن الفرد هنا يهب نفسه للجميع، لا لأحد بعينه.**

ويري "روسوRousseau "أن المدنية تفسد الإنسان وتفصله عن الطبيعة، لأنه في عملية التمدن تسير البشرية نحو تصحيح المجتمع علي حساب النوع، وهذا الشكل المغترب للنمو الحضري يبرز التناقض بين المجتمع والجنس البشري، حيث تصير **حياة الإنسان المتحضر نوعاً من العبودية التي يولد ويعيش ويموت فيها.**

ويشير "روسوRousseau " إلي الآثار السلبية التي تحول الإنسان عن طبيعته فيغترب عنها ويتحول إلـــي إنسان زائف، حيث تستبدل دوافعه وعواطفه منذ طفولته بنمـــاذج مصطنعه من السلوك، وتمتد عملية الإفســـاد من المدينة إلي الريف نتيجة لهيمنة المجتمع الحضري علي المجتمع الريفي، **ويربط "روسوRousseau " بين مظاهر الاغتراب ومصادره، فيربط الظاهرة** بتركيز المال والثروة في المدن. (١٠١: ٥٦ - ٦٤)

وهكذا يري "روسوRousseau " **أن الحرية غير قابله للتنازل، فالفرد لا يغترب عن حريته حتى لو أراد ذلك**، وأنه حين يتحول إلي جزء غير منظور في الكل الاجتماعي ليحقق مزيداً من الحرية في إطار المساواة، فهو لا يفقد حريته من أجل تحقيق أمنه، فالأمن إطار للحرية والحرية إطار للأمن، **وإنما بمجرد أن يصير الإنسان مستعبداً فإنه يفقد أمنه لحظة فقده حريته، لذا أباح "روسو" الثورة علي الطغاة وأعتبرها واجب وليست مجرد حق.**(١٠١: ٦٥-٦٦)

ويري "روسوRousseau " أن الناس صاروا مختلفين عما هو عليه في الواقع والحقيقة، خاصة في المدن الكبرى رغم امكانات الاتصال والمشاركة **لأن المجتمع قدم لهم وجوداً مختلفاً عن وجودهم الحقيقي الخاص بهم**، وبالتالي فهم منعزلين يعيشون مستقلين الواحد عن الأخر، ولكل منهم فكرة الخاص، والحقيقية أنهم لا يمتلكون الاستقلال الفكري.(٩٢: ٧٢-٧٣)

ويري "روسوRousseau " **أن الثروة والمال يسيطران علي حياة الناس في المجتمع المدني بدرجة من القوة التي معهـــا يتحول المجتمع إلي سوق بشري تسري عليه قوانين السوق من بيع وشراء وربـــح وخســـارة ومنافسة، حيث أنه في هذا السوق يطرح الإنسان نفسه (جسده، عقله، كل ملكاته، قدراته) كسلعه أو رأسمال، يحرص أن يعود عليه بأكبر عائد ممكن**، لذا يقول "روسوRousseau " في كتابه المعنون "اميل" (أن الانسان هو أرخص سلعه في السوق، وغالباً ما ينظر إلي حقوق الفرد بين جميع الحقوق الملكية الهامة علي أنها هي الأقل). **وعلي هذا الأساس تتحدد الذات الإنسانية في مجتمع السوق**، علي أساس (الوظيفة، والمكانة التي يشغلها، والدور الذي يقوم

به، والدولة التي ينتمي إليها....)، أي بوصفه: أنسانا غنياً أو فقيراً، منتصراً أو مهزوماً ، مواطناً في دولة غنية منتصرة أو في دولة فقيرة مغلوبة.(٩٢: ٨٠)

وفي سياق غربة الذات Self Estrangement أعتبر "روسو Rousseau" الاغتراب الذاتي أمراً تاريخياً، بمعني أنه ينشأ تحت ظروف تاريخية معينه تتميز بالقهر، ويزول الاغتراب بزوالها، ويري أن الإنسان الطبيعي هو ذاك الذي يعيش في حالة من الوجود الذي لم يعرف الاغتراب، وعلي هذا فإن ما يغير ميول الإنسان الطبيعية ويحولها، ليس هو الحالة الأصلية للإنسان أنما هي حالة المجتمع ، وما يولده من تفاوت بين أفراده وعدم المساواة، ومن مظاهر هذا الاغتراب الذاتي أن النظام يكبت فردية الإنسان، مما ينفي وجود الإخلاص بين فرد وأخر.(٩٢: ٧٧-٧٨)

لقد كان الخضوع السلبي يمثل مشكلة لدي "روسوRousseau " ويري أن تلك العبودية كما قال علي لسان (سان بيري) بطل روايته (لانوفل هلويز) هي أمر غير طبيعي، ويستحيل أن توجد دون أن يصاحبها تذمر، وكان يتحير من أمر تلك الطبقة الخاضعة المطحونة التي كانت أبعد ما تكون عن الثورة، وكأنها تعلمت كيف تحب عبوديتها التي تسلب حرية الفكر وتنكر فردية الإنسان، ويتساءل: كيف أمكن دفع الناس الذين ولدوا أحرارا إلي المساعدة في صنع أغلالهم وقيودهم.

وفي موقع أخر يعبر "روسوRousseau " عن النمو الصحي السليم للعلاقات الشخصية وأن افتقادها التعاطف بين الناس حيث عـــزت المشاركة الوجدانية فيقول: نحن لا نتعاطف قط مع مصائب الآخرين، إلا إذا عـــرفنا

أننا قد نعاني نحن أنفسنا نفس المصائب، كما كان من نتائج هذه الحواجز والمسافات الاجتماعية التي فصلت الناس عن بعضهم البعض، وفصلتهم عن مشاعرهم، أن تقلص مجال الشعور حتى كاد يتلاشى، وهو المجال الذي يشترك فيه كل الناس.(٩٢: ٦٩- ٧٠)

وكان "روسوRousseau " يري أن العلاقات الإنسانية من تلقائية ومحبة وتعاطف هي وراء القضاء علـــــي الشقاق بين الناس، وأن ذلك لن يتأتى إلا **بتحقيق المساواة عبر إعادة توزيع الثروة توزيعاً عـــــادلاً**، وأن يتحقق لكل فـــــرد الاستقلال، والاكتفاء الذاتي، وعدم الاعتماد علي الغير ، وأنه مع هذه المســـــاواة الحقيقية يصبح المواطن مستقلاً عمنْ سواه، وأن يكون معتمداً اعتمادا مطلقاً عليّ الدولة، لأن حرـة أعضائها لا يمكن الحفاظ عليها إلا بقوة الدولة. وهذا هو المثل الأعلى لـــ"روسوRousseau ": حيث: **استقلال الفرد عن الأخرين لا عن الدولة، فالدولة هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الفرد بواسطتها أن يتخلص من شتي الوان العبودية والتسلط المفروضة عليه من المجتمع.**

ولكي يعلو الفرد عما في المجتمع من شقاق ونزاع ويعيش في جو السلام الروحي الذي توفره الدولة، **لابد أن يتنازل تنازلاً كاملاً عن كافة حقوقه وقواه ويسلمها إلي الجماعة ككل ، وهذا التنازل الكامل عن الحقوق الطبيعية هو أساس العقد الاجتماعي الذي يربط بين أفراده** ، وهو ما يطلق عليه"روسو Rousseau" اسم"الاغتراب الشامل Total Alienation"، وكلمة اغتراب هنا تحمل دلاله إيجابية لأنه فعل مؤسس للدولة، وبوصفه أسهاما وتقديماً للذات

الجزئية إلي الكل، لأن السلطة الوحيدة التي يتنازل لها الفرد هي سلطة الجماعة.

وهذا هو الفرق بين "هوبز Hobbas" و "روسو Rousseau " فبينما يرى "هوبز" أن الإنسان يتنازل عن حقوقه الطبيعة إلي فرد أو مجلس من الأفراد يمثل السلطة، يري "روسو" أن تنازل الإنسان عن حقوقه الطبيعية لا يكون إلا لسلطة الجماعة أو الإرادة العامة. وهي سلطة معنوية أكثر منها سلطة عينيه.(٩٢: ٨١-٨٣)

ثانياً:النظرية الماركسية والاغتراب:

تذهب النظرية الماركسية في تفسيرها للاغتراب إلي أن بعض الأفراد يغتربون عن أعمالهم لأسباب موضوعية كامنة في علاقات الإنتاج ونسق السيادة الطبقي مما يؤدي إلي انفصالهم عن العمل أو نتاجه، كما يؤدي في نفس الوقت إلي اغترابهم عن الطبيعة، وعن ذواتهم، ومعني ذلك أن العمل يعتبر شيئاً خارجياً عن العامل، وليس جزءاً من طبيعته مما يخلق عندهم شعوراً بالبؤس وعدم الرضا، فلا يستطيع أن ينمي بحريته طاقته الفيزيقية أو العقلية، فيستحيل إلي شخص منهوك القوي جسمانياً، متمزق عقلياً، ولا يكاد يجد أمنه أو ذاته إلا في وقت فراغه"(٧٩: ٢٠)

وإن كان "هيجل Hegel" هو أول من رفع مصطلح (الاغتراب) إلي مرتبة الأهمية الفلسفية، فإن "ماركس K. Marx " هو أول من تناول هذا المفهوم باعتباره ظاهرة اجتماعية تاريخية، سواء من حيث نشأتها أو تطورها،

وباعتباره مفهوماً علمانياً مادياً، حيث رأي أن جذوره تكمن في العمل المغترب الذي يعد من وجهة نظره أساسا لكل أشكال الاغتراب الاجتماعية أو السياسية أو الإيديولوجية في المجتمع الطبقي، وقد ميز "ماركسMarx " بين عدة مظاهر للاغتراب، منها اغتراب الإنسان عن عمله، والأشياء المنتجة، ومنها اغترابه عن ذاته ووجوده ككائن نوعي ومنها أيضاً اغترابه عن المجتمع"(٩٨)

ويري "ماركسMarx " أن المرء أحياناً يمر بأوضاع "يفقد فيها نفسه ويصبح غريباً أمام نشاطه وأعماله ، ويكاد يفقد إنسانيته كلها ، فليس الأمر خطأ أو نسيان وأنما هو فقدان للذات، وذلك حين يتعرض الانسان لقوي معادية ربما كانت من صنعه ولكنها تنقلب عليه، كالأزمات والحروب، ففي حالة الاغتراب يستنكر الفرد أعماله ويفقد شخصيته، وفي ذلك ما قد يدفعه إلي الثورة لكي يستعيد كيانه ، فالاغتراب دافع من دوافع الثورات"(١: ٥٠)

"لقد حوّل "ماركسMarx " الاغتراب Alienation إلي أداة للتغير في الاستقصاءات السيوسيولوجية، ومع أن "ماركس Marx "استخدم مفهوم الاغتراب في تحليلاته الدينية والسياسية، إلا أن تركيزه عليه كان في تحليله للعمل ومناقشة تقسيم العمل ،وهو الذي أعطى هذا المفهوم قيمته بل وأدى إلي انتشاره في العلوم الاجتماعية".(٧٩: ٢٠)

ويري "ماركس Marx " أن نظام تقسيم العمل هو من أهم العوامل التي تؤدى للاغتراب حيث تنتهي العلاقة التفاعلية بين العامل وإنتاجه، بل ويتضح فيها سخرة الإنسان لأخيه الإنسان مدمراً تلك العلاقة الإنسانية، التي غالباً ما تسفر نتائجها عن علاقات سلبية تتسم بالإجبار والقهر، ويفقد معها الفرد إنسانيته

ومفهومه عن ذاته"(١٢٧: ٣٣-٣٧)، "بل وقد يفقد وجوده النوعي والحيوي حتى يكاد يغترب عن إخوانه في الإنسانية، ومن ثم يفقد تلقائيته ومعها لا يشعر بهويته، بل ربما يشعر باستئصالها وتشيؤه- أي أصبح شيئاً - وبأنه موجود في هذه الحياة علي نحو لا إنساني"(٧٤: ١٨)

"وهكذا يرى "ماركسMarx " في اغتراب المرء عن عمله اغترابه عن نفسه وعن إمكانياته وعن علاقته بمَنْ حوله، أي اغتراب عن ذاته وإنسانيته، حتى ينتهي به الأمر إلي العزلة عمَنْ حوله فيعيش منعزلا عن الآخرين حوله".(٥٩: ٢١)

ولذا يري "ماركس Marx " أنه في ظل الطبقية، علي الإنسان أن يؤدي دوره من خلال الموقف الطبقي الموضوع فيه، وإلا عرضَ نفسه للموت من خلال الصراع التنافسي، وأن الفاعل البروليتاري يخلق بفعله عالماً قوياً مضاداً له، وهو وإن كان يضع ذاته في الموضع الذي صنعه، **فان ذاته لم تعد تنتمي إليه، وإنما تنتمي إلي الموضوع الذي صنعه، ومن ثم فكلما جسد ذاته في عمله انتفت ذاته**، ومن ثم فالحياة التي يخلعها علي الشيء المصنوع تواجهه كموضوع يغترب عنه، وإذا كان الفعل الذي يأتيه الفاعل هو تأكيد لذاته، فان العامل أثناء عمله لا يؤكد ذاته، وإنما ينكرها، ولا يطور طاقاته العقلية أو الفيزيقية، ولكنه يقتل جسمه ويحطم عقله، لأن العامل يشعر بذاته عندما يكون خارج عمله ونشاطه، أما في عمله فإنه يشعر أنه خارج ذاته، بمعنى أنه يكون علي سجيته حينما لا يكون في عمله، وحينما يكون في عمله قهرياً ومجبر علي

ذلك يصبح العمل ليس لإشباع حاجاته وإنما وسيله لإشباع حاجات خارجه عنه.(٥٤: ٢٩٩)

لقد رصد "ماركسMarx" ظاهرة الاغتراب رصداً بنيوياً، حيث درس تطور التكوينات الاجتماعية والاقتصادية وخصائصها وما تستند اليه من علاقات ومتغيرات تشكل ملامحها ونمطها وبخاصة العلاقات الإنتاجية، ورفض ثنائية الفرد /المجتمع، وانطلق من الدمج بينهما وأن هناك علاقة ديناميه عضوية متبادلة بين الفرد والمجتمع، تتجلي أساساً في تلك العلاقة القائمة بين الإنسان ونشاطه الاجتماعي. وأن محاولة تشيؤ الإنسان وجعله واقعاً تحت سيطرة ما أنتجه من خلال نشاطه ،يفقده القدرة علي السيطرة علي واقعه، ومن ثم الاغتراب عن ذاته حيث (قوته وفعليته).

ويؤكد "ماركسMarx " على العلاقة بين ماهية الإنسان وعمله، أي بين وعيه بذاته وبواقعه، وبين إنتاج وسائل العيش، ولذا فهو يوجه النقد إلي الظروف الاجتماعية التي أنتجت تلك الخبرة التي يعيشها المغترب، وأدت إلي تحول النشاط الإنساني إلي سلعه، أي تحول عالم الإنسان إلي عالم الأشياء، وتحول العمل إلي نشاط قهري أو شيء خارجي لا يسهم في التعبير عن القدرات الإنسانية الإبداعية، ولذا يري "ماركسMarx " أنه إذا تملك الإنسان حريته وأصبح له استقلالاً ذاتياً، أي وجود يستند الي وعي بالذات، يمكن قهر الاغتراب، ويصبح العالم خالياً من الاستغلال، بل عالماً إنسانياً، لأن الأوضاع الاقتصادية تنتج الصراع الطبقي، وهي وراء الاغتراب ويشاركها في إنتاج هذا الصراع قوي سياسية وثقافية عديدة تشكل أيديولوجية النسق، والأيدولوجيا

ترتبط ارتباطا وثيقا بالاغتراب، ذلك أن الوعي الاجتماعي للمغترب يخضع لسيطرة عالم الأشياء، وهي عملية التشيؤ.(٨: ٧٥-٧٨)

وهكذا ينطلق "ماركس Marx " في نظريته من أن جذور الاغتراب تكمن في العمل المغترب، الذي يعتبره أساساً لكل أشكال الاغتراب في المجتمع الطبقي، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو إيديولوجية. ويعتقد "ماركس Marx" أن وعي الناس ليس هو الذي يقرر وجودهم فالوجود أسبق من الوعي، وهو الذي يحدد الوعي، وهو عله الفكر والفعل الاجتماعي معا، وأنه عند مرحلة معينة من التطور نجد أن القوي المادية للإنتاج في المجتمع تدخل في صراع مع علاقات الإنتاج القائمة أو مع علاقات الملكية التي يعملون في ظلها والتي تمثل التعبير القانوني عن علاقات الإنتاج التي تتحول نتيجة لتطور أشكال قوي الإنتاج إلي قيد عليها.(١٠١: ١١١- ١١٩)

ويري "ماركس Marx " أن القوة الوحيدة القادرة عملياً علي تجاوز الوجود الاجتماعي المغترب هي النشاط الإنساني الواعي، وإذا افترضنا أن اغتراب الوعي (الوعي الزائف) يرجع الي العمل المغترب، فان تحقيق واقع اجتماعي جديد يكون نفياً للاغتراب، يستلزم وعياً حقيقياً بمصادر الاغتراب ومظاهره ونتائجه وطرق تجاوزه.

ان النشاط المغترب كما ينتج وعياً زائفاً ينتج أيضاً وعياً مغترباً، وهذا الوعي المغترب يدل علي ظهوره حاجه إنسانيه لتجاوزه، وطالما أن كل حاجه تلد قوي لإشباعها، وأن كل مشكلة لا تبرز إلي الوجود إلا عندما تكون الظروف اللازمة لحلها جاهزة بالفعل أو في طريقها إلي الاكتمال، فان مشكلة

الاغـــــتراب توجد معها عناصر حلها،والحاجة لنفي الاغتراب هي حالة إنسانية متأصلة في واقع اجتمـــــاعي متغير، **وتبدأ مرحلة نفي الاغتراب حين تتخذ شكلاً اجتماعياً في صورة صراع طبقي .إن المجتمع المغترب يفرز وعياً زائفاً مغتراباً، وقد يفرز أيضاً وعياً علمياً قد يكون مغتراباً.**(١٠١: ١٢٩- ١٣٥)

وهكذا نجد أن النظرية الماركسية بدلا من أن **تنظر للعمل علي أنه نشاط إقتصادي اعتبرته النشاط الوجودي للإنسان، بل هو نشاطه الحر الواعي، وهو ليس وسيلة لحفظ حياته بل لتنمية طبيعته الكلية،** فيذهب "ماركس"، إلي أن التحقق الذاتي للإنسان يتم من خلال الوحدة بين الفكر والوجود، ويشرح "ماركس Marx " اغتراب العمل بأنه يتمثل أولا في **اغتراب العامل** بنتاج عمله، وثانيا في علاقة العامل بنشاطه الخاص، وأنه كلما ازداد ما أنتجه العامل ازدادت قوة رأس المال وتضاءلت قدرة العامل ذاته علي تملك منتجاته، ومن هنا يصبح العامل ضحية قوة خلقها هو ذاته.

وهكذا أكد "ماركس Marx " على أن العامل المغترب عن نتاج عمله، هو في الوقت نفسه مغترب عن ذاته، ولم يعد عمله نفسه منتمياً إليه لأن العمل في شكله الصحيح هو وسيط يستخدمه الإنسان في تحقيق ذاته علي النحو الصحيح ،وفي سبيل تنمية امكاناته، وأن يكون الهدف من الاستخدام الواعي لقوي الطبيعة هو إرضاؤه وإمتاعه، أما بالصورة الراهنة فإنه يشكل كل الملكات الإنسانية ويحول دون إشباعها، **ولذلك فإن العامل لا يؤكد ماهيته بل يناقضها،** وبدلا من أن ينمي طاقته الجسمية، والذهنية الحرة، **يكبت جسمه ويدمر ذهنه،** ومن هنا فإنه لا يشعر أنه مع ذاته إلا عندما يتحرر من العمل، بينما يشعر أنه

منفصل عن ذاته وهو يعمل، لأنه يقوم بعمله مجبراً عليه، ومن ثم فانه ليس إشباعا لحاجته بل هو مجرد وسيلة لإشباع رغبات خارجه عنه.

ولذا يري "ماركس Marx "، أن اغتراب العمل يؤدي إلي تقسيم العمل المميز لكل أشكال العمل الطبقي، لأنه لكل إنسان مجالاً خاصاً مميزاً للنشاط يفرض عليه ولا يستطيع أن يهرب منه، وهو تقسيم لا يمكن أن يتخلـــص منه إلا عندما تعلن حرية الفرد المجردة في المجتمع البرجوازي، فالعمل منفصلا عن موضوعه وهو في نهاية المطاف اغتراب للإنسان عن الإنسان، يعزل فيه الأفراد عن بعضهم البعض، ويوضع بعضهم ضد بعض، ويكمن أساس ارتباطهم في السلع التي يتبادلونها لا في أشخاصهم، فاغتراب الإنســـان عن ذاته هو في الوقت نفسه اغترابه عن اقرانه من الناس.(١٠٦: ٢٥٨- ٢٦١)

وحـــذر "ماركس Marx " من التشيؤ الجديد للمجتمع، فقال :علي المرء قبل أي شيء أن يتجنب إقامة المجتمـــع مرة أخري بوصفه تجريداً مضاداً للفرد، فالفرد هو ذاته الكيان الاجتماعي، ومن ثم فان التعـــبير عن حياته، هو تعبير عن حياة المجتمع وتحقيق لها، ويري "ماركس" أن التاريخ الحقيقي للبشـــرية سيكون تاريخ أفراد أحرار بالمعني الصحيح، حيث أن مصلحة الكل سوف تكون ملتحمة مع الوجود الفـــردي لكل منهم ،وأنه بإلغاء الملكية الخاصة يعود الفرد إلي وجوده الإنساني الاجتماعي.(١٠٦: ٢٦٥)

ولذلك يري "ماركس Marx " ان تقسيم العمل يؤسس لعدداً من الاغترابات التي لها وطأتها علي كل من البرجوازي، والبروليتاري علي السواء،

بحيث يصبح المخرج الوحيد لتجاوز هذه الاغترابات هو تغير النسق الاجتماعي، **وهذا التجاوز يفرض ضرورته عاملان :-**

- ضرورة الإطاحة بعلاقات الإنتاج بهدف تحقيق النمو الجنوني لقوي الإنتاج.
- في إخضاع العامل لسيطرة العملية الإنتاجية، تتأسس في إطار ذلك معادلة لا إنسانية تؤدي إلي افتقاد العامل لملكاته الإنسانية ومن ثم اختزالها.

ومن هذا نجد أن مفهوم الاغتراب يتضمن التشويه الإنساني Dehumanization المتنامي في ظل المجتمع الصناعي الرأسمالي، يلي ذلك فاعلية عملية الإفقار البروليتارى واكتسابها الهوية الطبقية وإدراكها الواعي لأهدافها الحقيقية.(٥٤: ٣١٥)

وعليه فإنه بالرغم من أن الاغتراب ظاهره اجتماعية المنشأ والجذور، إلا أن أعراضه نفسيه وسلوكية، تنعكس علي الفرد سلباً، وتنتهي به إلي اغترابه عن ذاته وعن مجتمعه، **ولذلك يعتبر الاغتراب ظاهرة اجتماعية تعكس العلاقة بين وجود الفرد وتأكيد ذاته واستقلاله في وجود الآخرين، وافتقاد العلاقة بالآخرين وبالعالم الميتافيزيقي وراء مشاعر الاغتراب، حيث العزلة والحرمان وافتقاد الولاء والانتماء .**

ثالثا:- الوظيفية البنائية والاغتراب:

تعـــددت الآراء التي قيلت في الاغتراب لدي مفكري الوظيفية البنائية، ولكن بداية وقبل استعراض بعـــض أرائهم قد يكون من المفيد الإشارة إلي معني اللامعيارية، أي فقدان المعايير (الانومي Anomie).

إن (الانومي Anomie) حالة من انعدام الثقة تعم المجتمع حينما يسوده عدم الأمن وعدم التيقن، وبذلك يتحول المجتمع إلي ساحة للصراع والفوضى والمنافسة القائمة علي الخداع .

وفي سياق ذلك يعنى "سكوت Secotte" بحالة الاغتراب عن القيم، حيث أنه حدد مصادر الاغتراب من وجهة نظر سوسيولوجيه فيما يلي:-

- عدم الالتزام بالقيم - عدم التطابق والامتثال للمعايير
- عدم وجود مسئولية في الأدوار - الافتقار لتحديد المسؤولية
- عدم التحكم أو السيطرة علي التسهيلات.

ويري "سكوت Secotte" أن حالة الاغتراب عن القيم الخاصة هي تلك الحالة التي تتضاءل فيها تماما القدرة علي التقييم، وليست مجرد انحطاط قدر بعض القيم الخاصة، أو مجرد عجز القيم عن إلزام الناس.

ومثل تلك الحالة قد أشار إليها "جورج هومانز" في وصفه للمجتمع المحلي لـــ(هيلتاون) بقوله: إن هيلتاون لم تزل لها اسم ، وحدود جغرافية ، وأناس يعيشون داخل هذه الحدود ،وأننا نزعم أنها لم تزل مجتمعاً ومن ثم نحكم بأنها فاسدة ،وقد نكون أكثر حكمة إذا تبينا أنها لم تعد - في أقصي المعاني ابتذالا- مجتمعا علي الإطلاق.

ويعتقد "هومانز" أن هذه الحالة التي وصل إليها مجتمع (هيلتاون) إنما ترجع لفعل التغيرات التكنولوجية المتلاحقة والتضخم الاقتصادي، والحروب **التي دمرت الوحدات الاجتماعية دون أن توجد ما يحل محلها، وبذلك انحلت روابط الإنسان بالإنسان** التي توجد في المجتمعات التقليدية دون أن يتح التكتل الجديد - الذي لا يمكن تسميته مجتمعاً- فرصه للإنسان لإقامة علاقات بديلة، وهكذا يتحتم عليه أن يعيش وحيداً حتى وسط المجموع.(١٠١: ٢١٣-٢١٤)

وهكذا أكد "سكوت Secotte" **على أهمية العلاقات والروابط الإنسانية وأنه لا يكون المجتمع مجتمعا إلا إذا وجدت الروابط الإنسانية بين أفراده** - بصورة أو بأخرى- حتى تسوده علاقات تعكس معنى الحياة والتفاعل الايجابي بين أفراده ،وهذه الروابط تستدعي قيم تعزز وجودها، وينطلق منها أفراده في علاقاتهم الاجتماعية، في مسؤولية متبادلة تعكس دور كل منهم داخل هذا المجتمع مع الالتزام بالمعايير التي تحقق الضبط والأمان لهم، والنمو داخل المجتمع، ومن هنا جاءت أهمية المعيارية في انتفاء الاغتراب، **وتعتبر اللامعيارية وهذا** (الانومي Anomie) **دلاله علي تفشي الاغتراب في المجتمع،** وقد يتبعها العديد من القيم السلبية التي تنال من وحدة المجتمع وتماسكه وتؤكد اغتراب أفراده مثل: اللامسئولية، الأنامالية، واللامبالاة، والأنانية ... وما شابهها فتسود الفوضى ويصبح التدهور والتفسخ هما السمة الوحيدة لمثل ذاك المجتمع الفوضوي.

وفي ذات السياق "ربما يعكس مدي ونوعية الاتصال والتواصل كيفية هذه الروابط الإنسانية ومدى التفاعل بين أفراد المجتمع، وهنا يري

"جوفمان Goffman" إنه إذا كان تخاطب أفراد المجتمع مع بعضهم البعض يتم بصورة سطحية تفتقد العمق الإنساني ويسودها اللامبالاة وعدم الجدية، فان ذلك يشير- بدرجة أو بأخرى- **إلي افتقاد هؤلاء الأفراد للمعايير الاجتماعية (الانومي Anomie) ويعكس ذلك مدى معاناتهم في تفاعلهم الاجتماعي،** بمعني أخر إن هذا الافتقاد هو بمثابة مؤشر هام علي وجود الاغتراب بينهم وافتقادهم لعمق الروابط الإنسانية والوجدانية بينهم".(١٠٨: ٥)

أهم مفكري الوظيفية البنائية الذين تناولوا الاغتراب:-

لقد نال مفهوم الاغتراب اهتمام العديد من فلاسفة ومفكري الوظيفية البنائية ، وعلى السطور التالية نتعرض لأهم هؤلاء المفكرين والفلاسفة:

١- "اميل دوركايم E. Durkhim"والاغتراب:

اعتبر بعض المفكرين أن فكرة "دوركايم Durkhim"عن (الانومي Anomie فقدان المعايير) هي نفس فكرة الاغتراب، لأن اهتمام "دوركايم Durkhim" كان ينصب علي توافق وتكامل الفرد مع المجتمع، وهذا ما يفسر تركيزه علي ما أسماه (العقل الجمعي والتكامل الاجتماعي، والتضامن الاجتماعي).

وتنطلق رؤية "دوركايم Durkhim" للاغتراب من الاتجاه الذي ينتمي اليه، وهو الاتجاه الوظيفي، حيث الاهتمام بتوافق وتكامل الفرد مع المجتمع (أي العقل الجمعي والتضامن الاجتماعي) ويرجع "دوركايم Durkhim" **اغتراب الفرد الي إخفاقه في الأخذ بالمعايير الاجتماعية التي تتحكم في التصرفات**

الاجتماعية، والتي قد يؤثر الجهل بها أو عدم الأخذ بها، في السلوك الاجتماعي، فيسبب عزلة الفرد وانفصاله عن المجتمع.(٣٠: ١١٢)

وتستمد رؤية "دوركايم Durkhim" ركائزها التي أقام عليها تصوره لحالة (اللامعيارية) من نظرته للسمات أو الخصائص الجوهرية للإنسان ذاته، فالإنسان في نظر "دوركايم" ليس مجرد عدد من الخواص الفيزيقية بقدر ما هو مجموعة من **الخواص الاخلاقية الاجتماعية**، ومن ثم فان الفرد لا تحكمه البيئة الطبيعية التي تفرض نفسها بشدة عليه، **إنما يحكمه أساساً ويوجهه عقل جمعي أعلي من عقله كفرد**، ومن هنا ينبثق إحساسه بالتميز عن سائر الكائنات، ويكون الفرد أكثر خضوعاً وامتثالاً للمجتمع إذا ما عظم رفضه لغرائزه وطبيعته الفيزيقية.

وإذا كانت الخواص الاخلاقية للإنسان يستنبت منها العقل الجمعي أو (ألانا الأعلى) الذي يوجه علاقة الفرد بمحيطة الاجتماعي، **فان جوهر العقل الجمعي هو نوع من الاتفاق القيمي المعياري** الذي يشكل أساساً قاعدة استقرار النظام الاجتماعي وتماسكه.

ويعـــزي "دوركايم Durkhim" أزمة النظام في المجتمع المعاصر الي **غياب العنصر المعياري** (التماسك المعياري) الذي يؤدي الي انعدام التأذر بين الأفعال، ومن ثم شيوع حالة (الأنومي Anomie) أي اللامعيارية. ويري "دوركايم Durkhim" **أن الصراع الطبقي الذي ساعد علي نقل المجتمع من المرحلة الإقطاعية إلي المرحلة البرجوازية، لم يعد له ما يبرر وجوده في**

المجتمع الصناعي الجديد ، لأن أزمة المجتمع الصناعي ليست أزمة اقتصادية بقدر ما هي أزمة أخلاقية.(٨: ٩٣-٩٤)

ويري "دوركايم Durkhim" أنه كلما اقترب المجتمع من مثال "المساواة" أكثر، قلت الحاجة الي الضوابط الاجتماعية، كما أنه من المستحيل أن يتحرر الفرد من الضوابط الاجتماعية تماماً، وإن حدث وضعف تأثير المجتمع وسيطرته، يصبح من الضروري إعادة صياغة تعليم أفراده أخلاقياً، لأن الفرد الذي يعاني من (الأنومي Anomie) هو فرد لا يخضع للمعايير من أي نوع وتعوزه قواعد يعيش بها لتنظيم رغباته وتوجيه أعماله، وأفاق محدودة يهتدي بها فكرياً أو سلوكياً، وأن العلاقات الاجتماعية تمثل وضعاً سوياً يحقق الضبط الاجتماعي الذي يؤدي غيابه إلي تدمير التركيب الذاتي للفرد ويعود إلي الفوضى الاجتماعية.(٣٢: ٤٥)

ويعتقد "دوركايم Durkhim" أن سعادة الإنسان "هي نتيجة تناسب حاجات الإنسان مع الوسائل التي يمكن أن تسهل إشباع هذه الحاجات، فإذا عجز عن إشباعها، أو أشبعت بطريقه لا تتفق مع ما يحقق رضاه فإنه يشعر بألم ومرارة وتنتفي سعادته"(٥٩: ٢٢)ويعتبر المجتمع، "هو السلطة الخارجة التي عليها ضبط وتوجيه الحاجات الأخلاقية للفرد عبر تشريع القوانين، ووضع الحدود التي يجب ألا تتعداها العواطف والانفعالات، فالمجتمع هو الذي يحدد الإنسجام بين الانفعالات والمواقف العقلية خاصة وإنه كلما زادت الأشياء التي يحصل عليها الإنسان نما طموحه للحصول علي المزيد منها، ولتحقيق أي غاية أو نتيجة للفرد لابد من الحد من الانفعالات".(٥٩: ٢٤)

وهكذا اهتم "دوركايم Durkhim" **بالمعيارية** ويرى أنها وراء أخلاقيات المجتمع ومصدر هام من مصادر قوته وتماسكه، **وأعتبر اللامعيارية (الأنومي Anomie) مصدر من مصادر الاغتراب ومعها يتأكد عدم توافق الفرد مع مجتمعه** الذي يفترض فيه ضبط سلوك أفراده، وتوجيه حاجاتهم الأخلاقيه عبر نظمه وقوانينه، ويري أن اللامعيارية هي وراء انفصال الأفراد عن مجتمعهم وعزلتهم عنه وأن العقل الجمعي يقوم علي اتفاق قيمي معياري ويشكل قاعدة ضبط لاستقرار المجتمع وتماسكه.

٢- "تالكوت بارسونز Talcot Poarsons" والاغتراب:

يري "تالكوت بارسونز Poarsons " أن الاغتراب هو حالة من التفاعل بين النظام الاجتماعي، والشخصية الفردية، بمعني ترتيب التوافق مع توقعات الآخرين أو الاغتراب عنها، مشيراً إلي أهمية القيم الايجابية في تحديد مدي الرشد لدي الأفراد، وتفاعلهم مع بعضهم البعض كأعضاء في مجتمع واحد.(٣١: ٢٤٠)

ولقد صاغ بارسونز Poarsons " رؤيته للعلاقة بين حالة فقدان المعايير (الأنومي Anomie) وبين ما أسماه بالعملية المؤسسية النسقية من خلال تصوره **لأساس النظام** من ناحية، **ولمشكلته** من ناحية أخري . فيري أن النظام العام **يكمن في أنساق الفعل والأنماط الثقافية والمعايير والقيم التي تكتسب معني** معين لدى الفرد وأنشطته التي يزاولها اذ تستدمج في الشخصية، وفى نظم المجتمع وثقافته ،ومؤدى هذا الاستدماج في تصور بارسونز Poarsons " التقاء

الجوانب الفردية والجماعية ، فهي توجد في عقول الأفراد، وفي عالم الرموز داخل المجتمع.

ويري بارسونز Poarsons " ان مشكلة النظام تنبثق من خلال اختلال أو ضعف عملية الاستدماج أو عدم تناميها، وتتجلى أساساً في عدم التوحد مع المعايير التي يقرها أو يستند إليها النظام، وهى الحالة التي تؤدى إلي ظهور (الأنومي Anomie) ومن ثم فإن التقاء أعضاء المجتمع حول مجموعة من القيم المطلقة، التي تحدد أهدافهم ووسائلهم لتحقيق هذه الأهداف من شأنه أن يضفى قدراً من النظام والمعني علي سلوك الأفراد، ويكبح الصراع والفوضى في المجتمع. ويعتقد بارسونز Poarsons " أن تقليص الصراع داخل النسق يتأتى لو استندت العملية المؤسسية إلي سلم يحدد الأولويات المشروعة التي علي النسق إنجازها في ضوء خطه مرسومة ومحدده بدقة.(٨: ٩٥) وهنا فقط تنتفي اللامعيارية (الأنومي Anomie) ويصبح التوحد مع معايير المجتمع وسيلة هامة لتحقيق تماسكه وتطوره.

وهكذا يركز بارسونز Poarsons " علي أهمية التفاعل بين النظام الاجتماعي حيث (اتساق الفعل والأنماط الثقافية، والمعايير والقيم) والشخصية الفردية لِمَ لهذا التفاعل من أهمية في عملية الاستدماج التي بدورها تؤكد اتفاق أفراد المجتمع حول مجموعه من القيم التي تؤكد تفاعلهم، حيث تلتقي الجوانب الفردية والجماعية مما يؤدى إلـــــي التوحد مع المعايير، واعتناق الأفراد لعدد من القيم الايجابية التي بترجمتهـــــا سلـــــوكاً في المواقف

الحياتية المعاشة ينتفي الصراع والفوضى بدرجة عاليـــة وتنتفي اللامعيارية (الأنومي Anomie).

٣- "روبرت ميرتون Robert Merton" والاغتراب:

تناول "روبرت ميرتـونMerton" الاغتـراب فـي سـياق تناولـه للأنومي Anomie (اللامعياريه)، فأوضـح "روبرت ميرتـونMerton" أن بعض الأبنيه الاجتماعية تمارس ضغوطـا علي بعض الأفراد في المجتمـع مما يجعل سلوكهم غير ملتزماً أو منسجماً، وتنبثق العلاقة بين حالة (الانـومي Anomie) والبناء الاجتماعي من خلال تصوره أو تحديده لأهم العناصر التي تتركب منها الأبنيه الاجتماعية والثقافية.

ويري "ميرتون Merton" أن حالة التناغم والتماسك والتكامل تـشير إلي ضرورة لأن تتسم العلاقة بين الأهداف والقواعد بالتوازن حتى يتم توحيـد الممارسات القائمة، وعليه فإذا اختلت هذه العلاقة بأن زاد التركيز علـي أحـد الطرفين ولتكن الأهداف، ولم يلق الصرف الأخر وهو القواعد اهتماماً مطابقـاً، اعتبر المجتمع مجتمعاً غير متكاملا من الوجهة الثقافية، وأصبحت الفرصة فيه مهيأة لظهور الانحرافات وحالة اللامعيارية ولذا يرى "ميرتـون Merton" **أن المجتمعات تختلف فيما بينها من حيث الدرجة التـي تتكامـل بهـا المعـايير وأساليب الضبط المؤسسي تكاملاً فعالاً مع الأهـداف أو الغايات التـي تمثـل مركز الصدارة في هرم القيم الثقافية في المجتمع.**

وعندما يصعب علي الأفراد رؤية أو تحديد أي السبل الممكنة أو الفعالة في إنجاز القيم المجمع عليها ثقافياً، ويجدون أن ما تعارفوا عليه من أساليب مشروعه ثقافية لم يعد يؤخذ بها، واستمرت هذه العملية في التهوين بما هو مستقر عليه ومقبول ثقافياً، أضحى المجتمع غير مستقراً ويظهر فيه ما أطلق عليه "دوركايم" (الأنومى Anomie)أو اللامعيارية (Normlessness) (٨: ٩٥-٩٦).

ويرى "ميرتون Merton" أن "الاغتراب عن الأهداف والمعايير السائدة في المجتمع" حسبما ورد في دراسة له بعنوان: الهيكل الاجتماعي وفقدان المعايير– يجعل أفراد هذا المجتمع في حالة انفصال عنه، ورغم أنهم يعيشون فيه إلا أنهم لا يشاركون في الإطار المشترك لقيم المجتمع، لذلك فهم المغتربون الحقيقيون"(٣١: ٥٣٩)

ولقد ربط "ميرتون Merton"، (الأنومي Anomie) أو اللامعيارية بمدي العلاقة بين الأهداف المحددة ثقافياً، والوسائل المتاحة لإنجازها، وقد حدد" ميرتون" خمس أنماط لتكيفات الفرد لإنجاز الأهداف المؤكدة ثقافياً في التالي:(١٣٦: ١٥٨)

١- **المجاراة** : أي مجاراة الفرد وتقبل الموجود من الأهداف والمعايير في المجتمع .

٢- **التجديد والابتكار**: وفيه يتكيف الفرد مع الأهداف ولكنه قد يرفض المعايير المنظمة لها.

٣- **الانسحاب** : مع هذا النمط يرفض الفرد كل من المعايير والأهداف.

٤- **التمرد والثورة** : وفي هذا النمط يرفض الفرد القيم السائدة ويتمرد عليها مطالباً بالتجديد .

٥- **الطقوسية**: وفي هذا النمط تكون الوسائل المستخدمة لتحقيق الأهداف مشروعة، بينما الأهداف ذاتها غير مشروعة.

وهكذا يري "ميرتون Merton" **أن (للأنومي Anomie) دور سلبي في الحياة الاجتماعية، ويعكس السلبية والعجز عن التفاعل الاجتماعي**، وأيضاً السلبية في عملية التنبؤ بالسلوك، وان المواءمة بين الأهداف ووسائل تحقيقها تلعب دوراً هاماً في انتفاء (الأنومي Anomie) وتحول دون دفع أفراد المجتمع للبحث عن قيم بديلة غير تلك الموجودة في البناء الاجتماعي حتي يتعاملوا بها ومعها في الحياة الاجتماعية (٣٢: ٥٠)

وهكذا ربط "ميرتون Merton" بين الاغتراب والأنـــومي Anomie **واعتبر الخلل في العلاقة بين الأهداف المنـــشودة لإنجـــاز القـــيم المجتمعيـــة المتعارف عليها ثقافياً، والتهوين من شأنها، وبـــين المعـــايير الـــسائدة فـــي المجتمع والقواعد المتبعة ووسائل تحقيق هذه الأهداف، جميعها تـــسهم فـــي وجود (الأنومي Anomie) الذي بدوره يحول دون هـــذا الإنجـــاز، ويخلـــق شعوراً بالعزلة والانفصال والسلبية واللامبالاة تجاه تلك الأهداف والقـــيم، بـــل وربما يدفع مثل هذا الشعور السلبي، الأفراد إلي البحث عن قيم بديلة للتعامـــل بها في الحياة الاجتماعية .**

وربما أن "ميرتون Merton" في رأيه هذا شأنه شأن غيره، يفترض أن المجتمع سليم غير معتل وغير مغترب، وعلي صواب - بالتالي تكون

المعايير السائدة لتحقيق أهدافه منطلقة من قيم هي لصالح أفراد المجتمع – ولكن إذا كان المجتمع هو ذاته مغترب وغير سليم بل ومعتل، فبالتأكيد قد يكون هناك شأن أخر في علاقة الفرد بذاك المجتمع المغترب، علي مستوي الذات الفردية مع تلك الذات المجتمعية والقيم السائدة والتي ربما تنال من القيم التقليدية بفعل عوامل التطور التقني والتكنولوجي، خاصة علي مستوي الاتصالات والمعلومات، وقد يكون لها انعكاساتها السلبية علي المجتمعات، كما هو الحال مع العولمة بأهدافها وكيفية تعاملها مع الذات المجتمعية والدولة القطرية، وخاصة علي المستوي الثقافي الذي بدوره شديدة التأثر بكل من الاقتصادي والسياسي.

رابعاً : مدرسة الفعل الاجتماعي (المدرسة النفسية في علم الاجتماع)

لا شك أنه من المفيد بدايةً التأكيد على أن أهم ما يميز نمو النظرية السيوسيولوجية في الربع الأول من القرن العشرين ذلك الاتجاه السيكولوجي الذي سيطر علي علم الاجتماع، والذي تطور ونما في أفكار مختلفة في أعمال ثلاثة من الدارسين هم :

- "توماس Thomas " الذي قدم الاتجاه السلوكي المعتدل والمرتبط بالاتجاه الثقافي.
- " باريتو Pareto " الذي قدم ما يتعلق فيها بموضوع الغرائز.
- "ماكس فيبر Weber" الذي اتخذ من علم الاجتماع طابعاً ذاتياً بالرغم من تأكيده علي العناصر العقلية التي ينطوي عليها نشاط الإنسان عموماً(١٠٤: ٢٥٢)

كما أكد "ماكس فيبر Weber" علي فكرة الاحتمال في أعماله وفـرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

لقد اتفق اغلب علماء الاجتماع علي أن النظرية السوسيولوجية يجب أن ترتكز بالضرورة علي دراسة مشاركة الفرد في الحياة الاجتماعية، وأدي هذا الاتفاق بهم الي **قبول علم النفس كدعامة من دعائم علم الاجتماع بدلاً من الفيزياء أو البيولوجيا** اللتين سادتا خلال الفترة السابقة علي تلك الفترة ... وهذا لا يمنع القول بأن علماء الاجتماع الذين ظهروا في أوائل القرن العشرين كانوا يمثلون الاتجاه السيكولوجي في علم الاجتماع ، وأيضاً مهدت هذه الفترة للنزعة التطورية في علم النفس.

ولقد كانت الصعوبة البالغة التي واجهت العلماء الدين جاءوا بعد ذلك تتمثل في عدم وجود نظرية سيكولوجية مقبولة بشكل عام، فكانت كل محاولة تسعي الي تطوير نظرية اجتماعية عامة عرضه للاعتماد والارتكاز علي اتجاهات سيكولوجية مختلفة .

وينفي "ماكس فيبر M. Weber" أن تكون نظريته سيكولوجية، ذاهباً إلي **أن علم الاجتماع يجب أن يهتم في المقام الأول بعالم الأفكار والمعاني،** وهذا يرجح القول بأن نظرية " فيبرM.weber" كانت نظرية سيكولوجية اساساً تؤكد بصفة خاصة العناصر العقلية الرشيدة في السلوك.(١٠٤: ٢٧٩- ٢٨٠)

ولأن "ماكس فيبر M. Weber" يعرّف علم الاجتماع بأنه ذلك العلم الذي يحاول الوصول الي فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكي يتمكن من تقديم

تفسير سببي لمجراه ونتائجه فإنه يري أن المهمه المتخصصة لعلم الاجتماع هي تفسير السلوك في ضوء المعني الذاتي.(١٠٤: ٢٧٢).

لقد كانت الوحدة الأساسية للبحث السوسيولوجي عند "ماكس فيبير M. Weber"هي الفعل الاجتماعي النموذجي أو الفرد، والذي أطلق عليه الوحدة الأساسية للمجتمع ، والملاحظ أن "ماكس فيبير M. Weber" لم يثر مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع لأنه أعتقد أن المجتمع – في نهاية الأمر– هو احتمال وجود أفعال إنسانية معينه، وينكر"ماكس فيبير M. Weber" بشدة وجود عامل واحد يسهم بصفة أساسية في تشكيل المجتمع أو التأثير علي التغير الاجتماعي فيه ولكن الطابع الذاتي الذي ميز تصوره لعلم الاجتماع فضلاً عن تأكيده للفعل العقلي الرشيد، قد يكونان مبررين للقول بأنه كان يميل لتأكيد الدور الذي تلعبه الأفكار في الحياة الاجتماعية .

لقد قدمت أعمال "ماكس فيبير M. Weber" أمثلة رائعة علي الدراسة الدقيقة الجادة للمواقف الاجتماعية الملموسة والعمليات التي يجب أن تشكل أساس أية نظرية سوسيولوجيه ملائمة، كما أسهم بشكل واضح في الدور الهام الذي تلعبه القيم في الحياة الاجتماعية، لذلك أسهم بشكل كبير في فهم السببية الاجتماعية وارتباطها بمشكلة المعني في الموضوعات الإنسانية.(١٠٤: ٢٧٤– ٢٧٥)

لقد جاءت أغلب أعمال "ماكس فيبير M. Weber" ليست سوسيولوجية بالمعني الدقيق ولكنها تنتمي إلي العلوم الاجتماعية بعامة ، وترتبط إلي حد بعيد بالتاريخ الاجتماعي، وبمعني أدق هي مناقشة للظواهر التاريخية في ضوء مفاهيم علم الاجتماع ومن أهم الموضوعات

التي ناقشها مناقشة سوسيـــولوجية خالصة كانت موضوعات قليلة لعل أهمها: البيروقراطية، الدين، علم الاجتماع القانوني(١٠٤: ٢٧٧)

ومن هنا قد يكون من المفيد أن تتعرف علي كيفية تناول بعض المفكرين – في إطار هذا السياق – للاغتراب .

١ – "ماكس فيبير M. Weber" والاغتراب :

ربط "ماكس فيبير M. Weber" **بين الاغتراب وفقدان الحرية** ، فيري أن من أهم عوامل الاغتراب لدى الأفراد **فقدانهم لحريتهم**، وعدم مشاركتهم في القرارات التي تتُخذ في أي أمر يوكل إليهم، عندها يشعر الأفراد بأنهم غرباء عن الواقع الذي يعيشونه وعن الحياة، وأنهم مسلوبـــي الحرية، وارجع "ماكس فيبير M. Weber" ذلك "إلي ثورة التكنولوجيا والتقدم العلمي الذي وسّع" مـــن دائرة استخدام الإنسان للآلة، وبالتالي اتسع معه **دائرة التنظيم البيروقراطي للعمل**، ويري "ماكس فيبير M. Weber" أنه بإحلال التنظيمات ذات الطابع العلمي محل تلك التنظيمات التقليدية جرفـــت الإنسان وسيطرت عليه وقتلت فيه روح الإبداع، بل وربما عزلته بدرجة كبيرة عن زملائه لأنه حينمـــا كان العمل تقليدياً سادة نوع من المشاركة الإيجابيه والتفاعل الإنساني بدرجه واضحة. ورغـــم أن "ماكس فيبير M. Weber" يري أن الاغتراب حتمي وأن البيروقراطـــية تجرد الإنسان من إنسانيته، وأنها علة الاغتراب وسببه، ويؤكد علي استمرارية وجود ظاهـــرة الاغتراب لا نفيها، الا أنه يرى

ضرورة الاتجاه للبيروقراطية الكامـــلة وابقاء باب المنافسة مفتوحا والتمايز الطبقي قائما".(١٠١: ٢٨٩)

وهكذا ربط "ماكس فيبر M. Weber" بين الاغتراب وافتقاد الإنسان لحريته، ورغم أنه أرجع ذلك الي التنظيم البيروقراطي للعمل، واتساع نطاق استخدام التكنولوجيا في مكان العمل حتى وأنها نالت من العلاقات والروابط الإنسانية وأنسنة الإنسان، بل وربما قتلت فيه روح الإبداع وتسببت في عزلته عن الآخرين حوله، الا أنه يؤكد حتمية الاغتراب ويشجع ضرورة الاتجاه نحو البيروقراطية الكاملة .

٢- "اريك فروم Erick Fromm"، والاغتراب:

يري "اريك فروم Erick Fromm" أن للتقدم التكنولوجي السريع انعكاساته السلبية علي جوانب الحياة الإنسانية نتيجة للحركة السريعة في المتغيرات، والتي غالباً ما تجعل الإنسان أسيراً بل وعبداً للآله التي أخترعها، ظناً منه أنها تقدم له السعادة، ولكن في حقيقة الأمر، إنها أفقدته معني وجوهر الحرية حتى وأنه صار عبداً لها ووجد نفسه يعيش العزلة ويشعر بالعجز والانفصال عَمنْ حوله، ولذلك غالباً ما يحاول الهرب من تلك الحرية التي صار معها يعاني: الوحدة، العجز والعزلة، **فكان هروبه إلى كيانات أكبر منه ليشعر معها بالأمن والقوة والانتماء لها وليشعر بذاتيته وهويته هروباً من اغترابه وعجزه وانفصاله عَمن حوله**(١٢٤: ١٧٧)

إن الفكرة السائدة عن الاغتراب في فكر "اريك فروم Erick Fromm" هي فقدان النفس لذاتها، وهي في هذا الفقد تكتسب ذاتاً ليست هي ذاتها الحقيقية، أو ما يجب أن تكون حقاً، فلقد اختار المغترب أن يهـــرب بنفســـه ويفقد نفســـه ويؤمن بالقيم الزائفة التي ليست من صنعه، وذلك لأنه لا يستطيع أن يحتمل العيش وحيداً، وأنه مع فقدان الإنسان لذاته يصبح مثل الآله التي يخترعها، وهو بذلك يتنازل عن نفسه الفردية التـــي تميزه عن غيره، ويصبح إحساسه بذاته ليس وليداً لأنشطة، بل يعاني العزلة والوحدة النفسية، لأنه انفصل عن ذاته، وعن مَنْ حوله في مجتمعه الذي يفترض أن يكون منتمياً إليه(١٧: ٦-٧)

لذا يرى "اريك فروم Erick Fromm" أن الإنسان المغترب **هو ذاك الغير قادر على التعبير عن نفسه كخالق لأفعاله، بل تصبح أفعاله ونتائجها هي الحاكمة له، والتي عليه أن يطيعها بل وقد يصبح أسيراً لها**(٣٠: ١١٢). ويجعلها تتصرف نيابة عنه وهي ليست بالضرورة أن تكون سلطة سياسية، بل قد تكون سلطة التقاليد والعادات والأخلاق، ويرى كذلك أنه ليس بالضرورة أن تكون سلطة صريحة، بل قد تكون أيضاً سلطة خفية مجهولة لها قوانينها الخاصة التي تشكل الفرد وتفقده ذاته، فهي سلطة أيضاً مغتربة، كما أنها قد تكون مقنعه مثل: الحس المشترك، والعام، الصحة النفسية والسوية، الرأي العام، إنها لا تطالب بأي شئ سوى البداهة، ويبدو أنها لا تستخدم أي ضغط بل الإغراء المعتدل، وهذه السلطة المجهولة الخفية تسلب الفكر من الإنسان.

ويرى "اريك فروم Erick Fromm"أن الأساس في كل سلطة هو سيطرة الحادث على الفكر، وعليه يمتثل الإنسان لم يفرض عليه، ويتجرع

الشعارات، وأن الإنسان عندما يكف أن يصبح نفسه، إنما يعتنق نوع من الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية، ولهذا فإنه يصبح تماماً شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون، والإنسان حين يصبح آله ويتنازل عن نفسه الفردية ويطابق ملايين الآخرين المحيطين به لا يحتاج أن يشعر أنه وحيد وقلق بعد هذا[١٧: ٨-٩].

وقد ربط "اريك فروم Erick Fromm" **بين الاغتراب والتسلطية** وتعامل معها على أنها قد تكون مبرراً لإثبات المرء لنفسه أنه ذو حرية واستقلالية وبإمكانه التوجه نحو(آخر) أي كان نوع هذا الأخر (فرد ،جماعة ، مجتمع....) ليندمج فيه، **وتعتبر الشخصية التي تتسم بالتسلط هي أيضاً مغتربة** لأنها تلجأ لمَنْ أكبر منها هروباً إليه من معاناة العجز والوحدة[١٢٤: ١٣٤-١٣٩].

ويرى "اريك فروم Erick Fromm" في الاغتراب أنه: **انفصال الإنسان عن وجوده الإنساني وبُعده عن الاتصال المباشر بالأشياء والأحداث** مما يشعر الشخص بأنه غريب في هذا العالم، بل وغريب عن نفسه، ولا يشعر أنه مركز العالم أو أنه خالق لعالمه ويتحكم فيه، فقد أصبحت أعماله وما يترتب عليها منفصلة عنه ومتسيده عليه وتتحكم فيه، وعليه أن يطيعها، وهو نمط من الخبرة يرى فيها الإنسان نفسه كما لو كانت مغتربة عنه. وذلك لأن الشخص المغترب تسيره قوى منفصلة عن ذاته وتجعله يحيا في وهم أنه في مقدوره أن يفعل ما يريد، لأنه يفتقر إلى معرفة نفسه، ولا يحس بذاته كهوية فريدة في نوعها لا تتكرر، ولا ينبثق إحساسه بذاته من نشاطه كفرد يحب ويشعر ويفكر، ولا يحيا حياته باعتباره الخالق لأفعاله بل يحياها باعتبارها شيئاً ناقصاً وغير

مكتف بذاته، بل ومعتمداً على قوى خارج نفسه، حيث يخلق لنفسه عالماً من الأشياء التي صنعها بنفسه، ولم يكن لها وجود من قبل، ومع ذلك فهو لا يحس بنفسه خالقاً لهذه الأشياء، بل عبداً لوثن صنعه بنفسه، ولذا فإنه يعاني من الوحدة والعزلة نتيجة أنفصاله عن نفسه، بل وقد يغترب عن المجتمع بكل ما فيه، ومعه يصبح هذا المغترب ذرة منفصلة في مجتمع مختل التوازن(٧٤: ١٩)

وينفرد الإنسان عند "اريك فروم Erick Fromm" بخمس حاجات وجودية تنبثق من شروط وجوده، وهذه الحاجات تؤكد على أن السعي إلى **الحرية والأمن** هما أقوى الدوافع الإنسانية جمعاء، لأنهما حقيقتان وجوديتان لا يمكن الهروب منهما **وتتمثل هذه الحاجات في التالي بعد**(٧٢: ٢١٣- ٢١٧)

١- الحاجة إلى الانتماء في مقابل النرجسية.

٢- التجاوز/ والإبداع مقابل النزعة التدميرية.

٣- الحاجة إلى التجذر في مقابل المحارمية.

٤- الحاجة إلى الهوية.

٥- الحاجة إلى إطار للتوجيه والعبادة.

١- **الحاجة إلى الانتماء:** يرى "اريك فروم Erick Fromm" أن الإنسان يملك العقل والخيال، ويعي وحدته Aloneness وانفصاله، ويعي جهله وعجزه Powerlessness، ومن هنا كانت حاجته إلى الانتماء ضرورة للتوحد مع العالم، وضرب أمثلة لذلك أما بالخضوع Submission

أو الهيمنة Domination، وينتهي إلى أن **أفضل طرق الانتماء والتوحد مع** العالم تكون من خلال الحب المثمر Productive Love **وفقدان هذه الحاجة** يؤدي إلى النرجسية التي تصبح جوهر كل ما يعانيه الفرد من أمراض نفسية.

٢- **الحاجة إلى التجاوز**: انطلاقاً من أن الإنسان مخلوق مزود بالعقل والخيال، فإنه يسعى لأن يكون مبدعاً في الحياة وليس ذو وجود سلبي، وإنما يكون وجوده ذو غاية، ومن خلال حاجته إلى التجاوز Transcendence توجد جذور(الحب، والفن، والدين، والإنتاج المادي) والفشل في إشباع هذه الحاجة (التجاوز) قد تدفع بالإنسان إلى التدمير.

٣- **الحاجة إلى التجذر Rootedness**: إن الإنسان كما يرى "اريك فروم Erick Fromm" يحتاج إلى جذور الإحساس بالخلود الذي يتشابه مع حاجته إلى الأمن مع الروابط الأمومية التي كانت تربطهم بالأم مبكراً، وعلى العكس من ذلك فالذين يتمسكون بالروابط الرمزية Symbiotic مع الوالدين والبيت، والوطن كطريق لتحقيق الحاجة إلى التجذر فهم غير قادرين على أن يخبروا التكامل والحرية Integrity and freedom

٤- **الحاجة الي الهوية Identity** :يري "اريك فروم Erick Fromm" أن الناس في حاجة الي وجود حالة داخلية من الخصوصية مع الذات Oneness with self وتلك هي (الهوية) الي تجعل الفرد متميزاً عن الآخرين بوعيه وأفعاله، وبماذا يكون، أي أن يكون، قادراً علي أن يقول: (أنا أكون I am I)

الأشخاص أصحاب **المشاعر المتميزة والواضحة عن فرديته** يدركون أنفسهم أنهم قادرين علي التحكم في حياتهم بدلاً من أن يتحكم فيها الآخرين .... والإنسان كائن يستطيع ان يكون واعياً بذاته ككيان منفصل Separate Entity والحاجة إلي الإحساس بالهوية كالحاجة الي الانتماء، والتجاوز، والتجذر، حيوية و ملازمة للإنسان.

٥- **الحاجة الي إطار للتوجه والعبادة** Frame of Orientation and Devotion ويري "اريك فروم Erick Fromm" أن الإنسان بحاجة الي طريقة مستقرة وثابتة لتفسير تعقيدات العالم الذي نعيش فيه ..أي الي مجموعة من المعتقدات تسمح للناس بتنظيم وفهم إدراكاتهم عن الحقيقة والتي بدونها يصبح الناس حياري غير قادرين علي التصرف علي نحو مفعم بالغائية Purposefulness.

إن هدف العبادة يزود الإنسان بحاسة التوجه نحو الوجود الغائي، حين يتمكن الناس من تجاوز وجودهم المنعزل وإضفاء المعني علي حياتهم، إن الإنسان في حاجة إلي إطار موجه من الاعتقادات يجب أن يشبع حتي تكون الصورة التي يرسمها الإنسان للعالم أكثر وضوحاً بل وتزداد وضوحاً بازدياد معارفه وارتقاء عقله .

"ويري "اريك فروم Erick Fromm" أن الحاجة إلي الأمن هي قاعدة الحاجات الإنسانية وأن هذه الحاجة ينبغي أن تشبع لدي الفرد منذ الصغر، وأن إشباع هذه الحاجة يعني أن يتقدم الفرد نحو الحرية الايجابية وأن يتعلق بالعالم علي نحو تلقائي من خلال الحب والعمل معبراً بذلك عن إمكانياته العاطفية

والحسية والعقلية علي نحو خلاّق. لذلك يري "اريك فروم Erick Fromm" أن الحب والعمل هما المكونان الأساسيان لتنمية الحرية الايجابية من خلال عملية التفاعل التلقائي، وأنه من خلال الحب والعمل يعيد الناس اتحادهم مع بعضهم دون التضحية Sacrificing بالفردية والتكامل. ويري أنه إذا حدث وتقطعت الروابط الأولية التي تمنح الإنسان الشعور بالأمن ، فإنه يبحث عن بدائل ثانوية تمنحه الشعور بالأمن وترد إليه الإحساس بالهوية، وترفع عنه عبء الشعور الذي لا يطاق بالوحدة والعجز واللاجدوي وذلك بالاندماج في شئ يعطيه الإحساس بالقوة والأمان، وهذه القوة قد تكون شخصاً أو مؤسسة أو أمة أو ضميراً أو قهراً نفسياً"(٧٢: ٢١٣).

وهكذا حدد "اريك فروم Erick Fromm" البدائل التي تمنح الفرد الشعور بالأمن، لم له من معني قصوي في حياة الانسان ويبدد عنه خوف الوحدة ومشاعر العجز والعزلة، ولذلك يدفعه هذا الشعور الي الاندماج في شئ يراه اكبر منه، ويمده بالعون ليساعده علي تجاوز تلك المشاعر حتي ولو كان يسبب له قهراً نفسياً.

ويرى "اريك فروم Erick Fromm" أنه حين يخاف الناس من ممارستهم لحريتهم، ويفتدوا أنفسهم، ويوغلوا في عملية الامتثال، قد يخدع الإنسان نفسه بأنه قد اختار الامتثال بمحض إرادته، ومعظم الناس لا يدركوا حاجتهم الي الإمتثال، لأنهم يعيشون تحت وهم بأنهم يتبعون أفكارهم وأهوائهم، قد توصلوا الي أدائهم نتيجة تفكيرهم، وأنه قد تصادف أفكارهم أن تكون هي نفسها أفكار الغالبية غيرهم، ولذا يقول "اريك فروم Erick Fromm" في كتابه

المعنون: الإنسان لنفسه، أن التدميرية هي الشكل الفعال للانسحاب، وأن دافع تدمير الآخرين ينجم عن الخوف من أن يدمره الآخرون وهي **نزعة ميكانزمية للهرب من ممارسة الحرية الحقة واكتساب نفس أصلية**، وهي عكس الدافع للحياة، إنها طاقة الحياة غير المعاشة، وقد تحولت الي طاقة لتدمير الحياة، والتدميرية لا تحترم الآخر وتقيم معه علاقة حب ، لأنها تستهدف استئصال موضوعها.

إن الاغتراب عند "اريك فروم Erick Fromm" هو اغتراب من، وهرب من ممارسة الحرية، مشيراً إلى أن الإنسان الحديث ربما تحرر من السلطات التقليدية، ولكنه أصبح منعزلاً وعاجزاً وأداة للأغراض القائمة خارجه، وأن اغترب الإنسان عن نفسه وعن الآخرين أصبح متحرراً من القيود الخارجية التي قد تمنعه من الفعل والتفكير حسبما يري وأنه حر في أن يتصرف حسب أرادته اذا عرف ما يريده وما يفكر فيه وما يشعر به، **ولكنه لا يعرف أنه يتطابق مع سلطات مجهولة ويعتنق نفساً ليست نفسه وكلما فعل ذلك شعر بعجز أشد، واضطر اكثر الي التطابق، وهكذا تتولد لديه قرارات ليست هي قراراته، بل أُوحي له بها من خارجه، ولكنه يحاول أن يقنع نفسه أنها قراراته هو، ومن صنعه، بينما في الحقيقة هي تتطابق مع توقعات الآخرين له، وهو بذلك الفعل مساق بالخوف من العزلة وتهديدات مباشرة أكثر له .. وهكذا أصبح الإنسان يعيش أفعال زائفة هي ليست أفعاله حقاً، وإن هذا الإحلال لتلك الأفعال الزائفة يفضي الي نفس زائفة تحل محل النفس الأصلية.**(١٧: ١٠- ١١)

"ولذا يري "اريك فروم Erick Fromm" **أن التواؤمية إنما هي نتيجة فقدان الفرد لهويته** فيقول: **أن فقدان الفرد لهويته لا يزال يزيد من طابع** الإرغام علي عملية التواؤمية، حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش إلا كما يتوقع له الآخرون، وإذ نعيش حسب هذه الصورة، **فإننا لا نخاطر فحسب بالاستهجان والعزلة المتزايدة بل نخاطر كذلك بفقدان هويتنا الشخصية التي تعني تعرض سلامة صحتنا النفسية للخطر**، وحتى لا يتحول الإنسان الي فرد حي بيولوجيا ميت نفسياً وانفعالياً، لأنه بذلك يفتقد الي معرفة ما يريد، وما يفكر فيه، وما يشعر به، تواؤماً مع سلطات مجهولة عنه، ومعتنقاً ذاتاً ليست هي ذاته، **وكلما فعل الفرد ذلك شعر بعجز أشد وانفصال أكثر واضطر أكثر الي عملية التواؤمية**".(٧٤: ٦٠)

"ويري "اريك فروم Erick Fromm" ان الحب يعمل علي إعادة وحدة الشخص المغترب، وأن الحب يتغلب علي أعظم انفصال ألا وهو انفصال النفس عن ذاتها".(١٧: ١٤١) مع الأخذ في الاعتبار أن الحب لا يتولد في فراغ، ولكنه وليد مجموعة اعتبارات يحياها الإنسان ويعيش بها ويتشكل كيانه من خلالها، وعلى هذا النحو فالانتماء لا يخرج عن كونه إحساس تجاه أمر معين أو جهه محددة، يبعث على الولاء لها والفخر بالانتساب إليها، فالحب والانتماء وجهان لعمله واحدة، ومع ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الأمور متباينة، وولائهم مختلف، ويرجع ذلك إلى اختلاف معايير الفكر عند بعض الناس، وتفاوت الرؤية عند بعضهم الآخر في النظر للأمور.(٥٠: ٢٢-٢٣)

"وفي موقع آخر يؤكد "اريك فروم Erick Fromm" أن الفرار من الوحدة والعزلة إنما هو نتيجة للحرية التي يعيشهـــا الإنسان للارتباط بالحياة حوله والتفاعل مع الآخرين المحيطين به **أفضـــل مـــن الحرية التي يعيشها مغتراباً**".(١٢٢: ١٥) **لأنه مـــع هذا الاغتراب" يجد المـــرء نفسه غريباً عن ذاته وليس مركزاً لعالمـــه، وأفعاله التي تسيطر عليه، ومع الاغتراب يعيش المرء خارج الاتصال بنفسه وبالآخرين حوله ويصبح في حال اغترابه هذا، لا منتمياً لذاته ولا للعالم حوله**".(١٢٣: ٣٠)

ويري "اريك فروم Erick Fromm" أن الشكل **الزائف من الحرية يرتبط بشكل زائف من الحب**، فالشخص هنا لا يحب الأخرين، كما لا يحب نفسه بالمثل، لأن الإنسان في هذه الحالة يصبح شئ لا هوية له نتيجة أنه فقد نفسه الحقيقة، وهرب من ممارسة حريته الحقيقية، بل ومارس حرية وهمية واكتسب نفساً زائفة، فأنفصل عن نفسه وعن غيره ممن حوله، وعجز بل وأصبح بدون مقدرة علي استخدام القوي الإنسانية لديه.

ويري "اريك فروم Erick Fromm" أن الأشخاص **الأنانيون عاجزون عن حب الآخرين ، وإنهم ليسوا قادرين علي حب أنفسهم حباً حقيقياً، ومن هنا يتشئ الإنسان، والأشياء ليس لها هوية – وبهذا التشيؤ – الذي هو نتيجة فقد الإنسان لنفسه الحقه وهروبه من ممارسة الحرية الحقة، واكتساب نفس زائفة، وممارسة حرية وهمية، وممارسة حب زائف لا عقلاني، كل هذا يؤدي إلي انفصال الإنسان عن نفسه ويصبح بلا مقدرة علي استخدام القوي الإنسانية لديه.**

وهكذا يرى "اريك فروم Erick Fromm" أن جوهر الإنسان **يعيش علي أمل**، وإن اختفي هذا الأمل لا يبقي للحياة معني، ولذلك يري أنه ليس هناك **الا الحب المثمر المنتج، وهو مصدر الحرية الحقه**، وأن الحب ليس قوي عليا تهبط علي الإنسان، كما أنه ليس واجباً مفروضاً عليه، **بل هو قوته التي تربطه بالعالم وتجعله عالمه الخاص، فالحب حالة ايجابية ونشاط، وهو العطاء وليس** التلقي، **وهو الوقوف وليس الوقوع**. ومن علامات هذا الحب المثمر: العناية، المسئولية، الاحترام، المعرفة، وبذلك فإنه يقهر الانفصال، ويبقي علي الذات، لأن الحب المثمر ليس حب هيمنة، وإنما هو حب احترام وتساو وعطاء، وأنه في هذا العطاء لا يملك إلا أن يحمل شيئاً الي الحياة في الشخص الآخر، وذلك الذي يحمله إلي الحياة ينعكس بالتالي عليه، **إنه بالعطاء الحقيقي لا يملك إلا أن يتلقى ما يعود إليه ثانية. ويري"اريك فروم Erick Fromm" أنه في هذا العطاء تكتشف النفس الحقيقية في فعل الحب، فعل إعطاء النفس والنفاذ الي الشخص الآخر**،(أجد نفسي، اكتشف نفسي، اكتشف كلينا، اكتشف الإنسان)، إذن الحب المثمر هو حب نماء .. فالحب والحـــريـــة شئ واحـــــد، فالحب وليد الحرية وليس وليد الهيمنة، لذا يقول "اريك فروم Erick Fromm" في كتابه ثورة الأمل، أن الحب، والرقة والعقل والاهتمام والكمال، والهوية، كلها نبت الحرية.(٧ ١٤-١٥)

إن الحرية الإيجابية المثمرة هي الأكثر تأثيراً في هدم الاغتراب، لأنها قائمة على الاحترام المتبادل، والثقة المتبادلة، والعطاء المتبادل، ولا يستطيع الإنسان أن ينجي نفسه من نتائج جنونه إلا بخلق مجتمع سوى يتفق مع

احتياجات الإنسان، خاصة تلك الاحتياجات الكامنة في ظروف بعينها، لأن الهدف النهائي هو تحقيق الصحة العقلية والمجتمع السوى، **وهذه الصحة العقلية تتميز بالقدرة على الحب**، ويستهدف "اريك فروم Erick Fromm" من ذلك **وجود الإنسان الذي يعيش من أجل أن يكون، لا من أجل أن يحصل على، أو أن يّستعمل، إنسان هدفه تطـــويراً كاملاً في الحب والعقل، لأن العقل هو الحبل السري الرابط بين الحب والحـــرية** وذلك حتى يستطيع هذا الإنسان ممارسة فن الحياة، وفي فن الحياة، يكون الإنسان هو الفنان وأيضاً هو موضوع فنه(١٧: ١٦-١٧)

ولا يتردد "اريك فروم Erick Fromm" في **أن يتهم مجتمع بأكمله أنه غير سوي وغير سليم، وقد يكون سبباً في اغتراب أفراده عنه، وفضل أن يتهمه بالعصابية ولا يتهمه بمعاداة أبنائه، مناوئاً لسعادتهم وتحقيق ذواتهم**، وذاك المجتمع هو الذي يشعر أفراده بالشلل وفيه يفتقدون النمو في شخصياتهم، واعتبر "اريك فروم Erick Fromm" أن الشخص الذي في حالة تكييف مع المجتمع هو ذاك الذي يستطيع أن يؤدي دوره الاجتماعي، وبلغه مقياس القيم الإنسانية هو شخص ذو قيمة عكس الشخص الذي في حالة عدم تكيف فهو يتسم بسمات تقلل من قيمته، ولذا فإنه يرى **أن مَنْ على درجة عالية من التكييف مع ذاك المجتمع فهو في حياة أقل صحية من ذاك العصابي (بلغة القيم الإنسانية) لأن تكييفه هذا على حساب نفسه، ومعه تفقد ذاته الفردية التلقائية، في حين أن الشخص العصابي يقدم تنازلات من أجل ذاته، وبدلاً من أن يكون معبراً عن ذاته بإيجابية، ينسحب إلى حياة وهمية خيالية، كذلك يرى "اريك**

فروم Erick Fromm" أن الهروب ليس حلاً، وإنما على الفرد أن يربط نفسه بالعالم حوله بالحب والعمل معبراً عن مشاعره الحقيقية وإحساسه وقدراته العقلية ليصبح متفاعلاً مع مَنْ حـــوله، ومع الطبيعة، ومع نفسه، دون التخلى عن استقلاليته، مؤكداً ضرورة اندماجه كفرد مع مَنْ حـــوله، لأن انفصاله عن مَنْ حوله يعني هروبه ويصّعب الحياة أمامه، ففي العزلة والهروب تنعدم السعـــادة الحقيقية والحرية الايجابية، وأن كان اللجوء إليها حلاً، قد يهدئ القلق ويتجنب الرعب، إلا أنـــه لا يحل المشكلات الأساسية، وهنا تصبح الحياة مجرد أنشطة وحركة آليه بلا معنى(١٢٤: ١٣٨- ١٤٤)

خامساً: استخلاصات تنظيرية حول مفهوم الاغتراب:

لقد كشف التحليل الفلسفي والسوسيولوجي السابق لمفهوم الاغتراب في بعض الاتجاهات الفكرية، والنظريات العالمية المعاصرة عن **عدة استخلاصات يمكن إجمالها في التالي:**

تعاملت نظرية العقد الاجتماعي مع الاغتراب عبر علمائها، كما يلي:

- يرى "**توماس هوبز T.Hobbas**": أنه لكي لا يغترب الإنسان، وينعم بالأمن وحماية حياته، ووقاية نفسه من الأذى، عليه أن يتنازل عن قوته الخاصة وعن حقه الطبيعي بإرادته مقابل أن يكفل له المجتمع المدني حقه في حياة آمنة، وهذا ينطبق على الجميع ما عدا الحاكم وهو وحده فقط الذي لا يتنازل عن قوته ولا عن حقوقه، ويرى "هوبز" أنه نظراً للحاجة لسلطة

مطلقة بهدف الاستقرار الذي يؤدي إلى فرض السلام والأمن بقوة الحكم المطلق- ولا يهمه رضا الناس أو قبولهم للأحكام- .. فتقوم الدولة على أساس الاغتراب، وكذلك المجتمع المدني قائم على الاغتراب الجماعي، ولذا يرى "هوبز" أن الانسان قد يتنازل عن حقوقه الطبيعة لفرد أو مجلس من الأفراد يمثل السلطة.

- **ويرى"جون لوك J. Locke ":** أن جوهر عملية الاغتراب في صميم العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة- حين يضفي الإنسان من ذاته- على الأشياء التي يصنعها- وبين الإنسان والموضوعات الطبيعية- إذا أخذت منه اغترابه عن ذاته، وبين الإنسان والسلطة السياسية إذا انحرفت عن واجبها كحارس أمين ووكيل شريف وتقدم على حق الإنسان في السلام والأمن، وأن وظيفة الحكومات المحافظة على حياة الناس وحرياتهم واستقرارهم وثرواتهم. ويرى "لوك" أن الطريق الوحيد لإقامة مجتمع مدني هو **أن يجرد كل فرد نفسه من حريته الطبيعية ويلبس روابط المجتمع المدني** بأن يتفق مع غيره من الناس بأن يرتبطوا ويتحدوا في جماعة محلية منظمة من أجل راحتهم وأمنهم وحياة الشركة السلمية مع الآخرين في استمتاع مضمون بممتلكاتهم وأمن أعظم، ضد كل ما هو خارجي.

وأسس "لوك" العقد الاجتماعي على أساس الرضا والاختيار، وأن المجتمع السياسي هو سوق قوة احتكارية تفرض نفوذها وتحدد الثمن الذي يتحتم على المحكومين أن يدفعوه وهو الاغتراب الكلي، وانعدام الأمن بأبعاده جميعاً فيما عدا الأمن العام، لأنه يوفر الاستقرار وهو ضمان لرأس المال.

- ويري "**جان جاك روسو J.J. Rousseau**" أن الاغتراب الذاتي أمر تاريخي، ولذلك يزول الاغتراب بزوال الظروف التي أدت اليه، وأن الدولة هي الوحيدة التي تستطيع أن تخلص الفرد من القهر والعبودية، لأن من يتنازل عن حريته الشخصية لفرد ما فإنه يحط من قدر نفسه، وأنه ليس من حق الإنسان أن يغترب عن حريته أو يجرد نفسه منها كذلك يري أنه مع الثروة والمال يتحول المجتمع الي سوق بشري تسري عليه قوانين سوق السلع، حيث البيع والشراء والربح والخسارة والمنافسة. لذلك يري "روسو" ان **الفرد يتنازل عن حقوقه الطبيعية للدولة وليس لفرد ما أو لجماعة ما، ولذلك فإن التنازل الكامل عن حقوق الإنسان الطبيعية للدولة**- حيث لا يكون إلا لسلطة الجماعة أو الإرادة العامة، وهي سلطة معنوية أكثر منها سلطة عينية- **وهو أساس العقد الاجتماعي ومعه يتحقق الاغتراب الشامل.**
- **أما عن النظرية الماركسية: فتري أن جذور الاغتراب تكمن في العمل المغترب، وأنه هو أساس كل اشكال الاغتراب في المجتمع الطبقي، وأن تقسيم العمل يؤسس للاغتراب، وهو مفهوم يتم وفق قوانين الإنتاج الرأسمالي**، ويتضمن تقسيم العمل تشويه إنساني، لأن ناتج العمل (السلع) هي التي تتحكم في طبيعة النشاط الإنساني وغايته فتصبح المواد التي يفترض فيها أن تخدم الحياة هي التي تسيطر على مضمونها وهدفها، ويصبح وعي الإنسان ضحية لعلاقات الانتاج المادي. وبذلك تصبح العلاقة بين الوعي والوجود هي علاقة زائفة، لأن الوجود هو الذي يحدد الوعي وهو أسبق من الوعي، والنشاط المغترب ينتج وعياً زائفاً وينتج وعياً مغترباً أيضاً.

وقد حذر "ماركس Marx " من التشيؤ للمجتمع، وآلا يكون المجتمع تجريداً مضاداً للفرد، وذلك لأن الفرد هو ذاته الكيان الاجتماعي، وأنه طالما كان العمل منفصلاً عن موضوعه ويفرض علي الإنسان ولا يستطيع أن يهرب منه، فإنه يؤدي إلي اغتراب الإنسان عن ذاته، وعن زملائه، بل وربما يكون بعضهم ضد البعض، وكذلك كلما زاد ما ينتجه العامل زادت قوة رأس المال، تضاءلت قدرة العامل علي امتلاك منتجاته، فيصبح العامل ضحية قوة صنعها هو ذاته، وبذلك يصنع العامل بفعله عالماً قوياً مضاداً له، فإن كان العامل يضع ذاته في الموضع الذي يصنعه فإن ذاته لم تعد تنتمي إليه، وإنما تنتمي إلي الموضوع الذي صنعه بنفسه، أي أنه كلما جسد ذاته في عمله انتفت ذاته، ومن ثم فالحياة التي يخلعها علي الشئ المصنوع تواجهه كموضوع يغترب عنه، وإذا كان الفعل الذي يأتيه الفاعل هو تأكيد ذاته، فإن العامل أثناء عمله لا يؤكد ذاته وإنما ينكرها .

- **أما الوظيفية البنائية:** فإنها تركز علي المجتمع وما يسوده من روابط إنسانية وعلاقات اجتماعية تحكمها قيم ومعايير يفترض فيها أن تسهم بفعالية في تحقيق الضبط والمشاركة والتفاعل الاجتماعي، مما ينفي وجود (الأنومي Anomie) واللامعيارية Normlessness ، ووضح ذلك في آراء بعض علمائها كما يلي:

- يرى"اميل دوركايم E. Durkhim" أن المعيارية وراء أخلاقيات المجتمع وتعكس مدي توافق الفرد مع مجتمعه، وأن العقل الجمعي يقوم علي اتفاق معياري ويشكل قاعدة لاستقرار المجتمع وتماسكه.
- ويري "تالكوت بارسونز T. Parsons"أهمية التفاعل بين النظام الاجتماعي والشخصية الفردية حتى يتحقق الاستدماج الذي يؤكد علي الاتفاق القيمي المعياري، حيث ضرورة التوحد مع القيم والمعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع.
- ويري "روبرت ميرتون R. Merton "الذي ربط بين الاغتراب والمعايير الاجتماعية، إنه نتيجة للخلل وعدم التوازن في العلاقة بين الأهداف المنشودة لإنجاز القيم الاجتماعية وبين القواعد والمعايير الاجتماعية لإنجاز هذه الأهداف، يؤدي الي (الأنومي Anomie) ويخلق شعور بالعزلة والسلبية لدي الأفراد والانفصال عن مجتمعهم، مما قد يدفعهم للبحث عن قيم بديلة للتعامل بها وتحقيق التفاعل الاجتماعي.
- أما عن مدرسة الفعل الاجتماعي (المدرسة النفسية في علم الاجتماع) فقد تعاملت مع الاغتراب كما يلي :
- ربط "ماكس فيبرM. Weber"بين الاغتراب ومدي الافتقار إلى الحرية، وأرجع ذلك إلي التنظيم البيروقراطي الذي ينال من العلاقات والروابط الإنسانية والوجدانية، ويحد من عملية التفاعل الاجتماعي، بل ويقتل روح الإبداع لدي الأفراد، ويتسبب في عزلتهم عن مجتمعهم وبالتالي اغترابهم.

- وأما "اريك فروم Erick Fromm" فقد فاضت كتاباته بالحب، ويري فيه قهراً للاغتراب الذي يري أنه فقدان النفس لذاتها واكتساب ذات غير ذاتها الحقيقية، وهروب من ممارسة الحرية، فقد اختار المغترب أن يهرب بنفسه ويؤمن بالقيم الزائفة حتي أصبح كالآلة التي يخترعها وتنازل عن ذاته الفردية، وأصبح إحساسه بذاته ليس وليد أنشطته لأنه أنفصل عن ذاته وعن مَنْ حوله وبذلك أصبح فاقد التعبير عن نفسه كخالق لأفعاله، بل أفعاله ونتائجها هي الحاكمة له، وأصبح أسيراً لها فلا يشعر بذاته كهوية فريدة، ولا ينبثق إحساسه من نشاطه.

ويري "اريك فروم" **في الحب والعمل الطريق الي الحرية الإيجابية المثمرة، من خلال التفاعل التلقائي، لأن الحب يعمل علي إعادة وحده الشخص المغترب، وبالحب يتغلب علي الانفصال عن الذات،** وأن الشكل الزائف من الحرية يرتبط بشكل زائف من الحب، وأن الحرية الإيجابية قادرة على هدم الاغتراب، ومعها يعيش الإنسان من ُجل أن يكون لا من أجل أن يحصل على، أو من أجل يُستعمل، وبالحب والعمل يربط الإنسان نفسه بالعالم حوله، والحب المثمر من هو مصدر الحرية الحقيقية .

كان هذا عن بعض أهم النظريات المعاصرة بمدارسها الفكرية حول الاغتراب وكيف تناولته والتي انتهت الي تنازل الفرد عن ذاته وحريته وحقوقه الطبيعية لكيان آخر يتولي حمايتها ويوفر الأمان لها، وربما قد يكون هذا الكيان مغترباً أيضاً، فمنهم من قال **بالتنازل للمجتمع المدني ومنهم من قال بالتنازل للسلطة السياسية أو الحكومة** ومنهم من قال **بالتنازل للدولة.** ومنهم من رأي

أن تقسيم العمل جعل العامل يتنازل عن ذاته لناتج عمله، حيث يصنع العامل بنفسه وبمجهوده عالم مضاد له وهو محروم من ملكية شئ مما ينتجه، بل وصار ضحية لما ينتجه، لأنه فقد ذاته وأنكرها حين جسد ذاته في ذلك العمل الذي حرم نتاجه.

وهنـــاك من رأي أهمية للعقـــل الجمعي حيث يتحقـــق الاتفاق المعياري، وتجنب (الأنومي Anomie) و(اللامعيارية Normlessness)، وأكد علي أهمية العلاقات والروابط الإنسانية وضرورة احترام المعايير الاجتماعية وعدم وجود خلل بين الأهداف المنشودة لإنجاز القيم الاجتماعية، وبين القواعد والمعايير الاجتماعية لإنجازها.

وهناك من رأي أنه نتيجة للتقدم التقني والتكنولوجي واختراع الآلات أصبح الإنسان عبداً لهذه الآلة التي بدورها أصبحت تتحكم في أفعاله وسلوكياته حتى أصبحت أفعاله ليست من صنعه أو يستطيع التحكم فيها، ففقد ذاته، وعاش العزلة والوحدة، وهرب من حريته الي كيان اكبر منه لينتمي إليه ليشعره بالأمان والقوة، وقد يكون هذا الكيان سلطة سياسية أو سلطة حتي خفية ومجهولة او سلطة العادات والتقاليد، التي هي في النهاية سلطة لها قوانينها الخاصة التي تسهم في تشكيل الفرد الذي بدوره يتجرع شعاراتها، وقد تكون هي ايضاً سلطة مغتربة، ولكنه هرب من حريته إليها خوفاً من الوحدة والعيش وحيداً .

هذا ما قالت به انتهت إليه بعض أهم النظريات المعاصرة في شأن الاغتراب، وكم هي مؤلمة علي الذات الإنسانية، فهل لنا ان نعود إلي خالق هذه الذات الإنسانية سبحانه وتعالى الذي أوجدها واستخلفها في أرضه لتعمرها، هل لنا أن نعود إليه سبحانه نلتمس منه الطريق الصحيح لسعادة هذه الذات وما تركها ربي ضائعة، ولكنه سبحانه انزل إليها المنهج الإلهي ليبصرها كيف تعيش، وكيف تسلك في المواقف الحياتية على تباينها لتعيش حياة سوية آمنة مطمئنة، أليس هذا يفرض علينا كبشر أن نُسلم أنفسنا إلى خالقنا الله وحده سبحانه لا شريك له، فهو سبحانه وتعالى أرحم بنا من أنفسنا، نُسلم له في خضوع تام وفي عبودية كاملة خالصة له وحده سبحانه ، بطاعته فيما أمر به، وتجنب ما نهي عنه، وفي رجاء منه، فمع الخضوع لله يزداد الإنسان عزة وكرامة، ويعيش الآمان والاطمئنان، فكيف يحدث الاغتراب لو أن كل إنسان كذلك، وما المجتمع إلا مجموع أفراده، حتى وإن كان هناك منغصات في هذه الحياة الدنيا كدار للابتلاء، فقد بصرنا الله خالقنا بالطريق لمعالجتها، ومعها يدركها الفرد ويعرف أسبابها أو علتها ومخاطرها، وكيف يتغلب عليها، وإن إصابه معاناة منها فله عند خالقه الجزاء الأوفى، ولكنه وجب عليه الأخذ بالأسباب في حركته في هذه الحياة الدنيا، ثم التوكل علي الله تعالي في استسلام له وحده، وخضوع كامل له وحده سبحانه، حينئذ تكون عزة الإنسان وكرامته، لأنه يملك ذاته، وقراراته، وحريته وإرادته فلا غربة ولا اغتراب، هذا إذا اتبع كل أفراد المجتمع ذلك، فلن يكون هناك اغتراب ذاتي أو اغتراب اجتماعي الذي طالما يوجد إذا حدث العكس، وقد يزداد الطين بلة اذا كانت

سلطات المجتمع هي أيضاً مغتربة، وأنه نتيجة للتفاوتات الكبيرة بين الأفراد في قيمهم ومعتقداتهم وسلوكهم فقد تأخذهم الشهوات مصحوبة بالشبهات في صراعهم من اجل: (المكانة الاجتماعية، المال، النساء، الأولاد، وغيرها من الشهوات) التي قد تبعدهم كثيراً عن المنهج الإلهي المُنزل من خالقهم سبحانه وتعالي، وهدي رسوله الكريم محمد صلي عليه وسلم، فيصبح المجتمع مغترباً، ولكن هذا لا يحول دون وجود أفراد غير مغتربين داخل ذلك المجتمع استمسكوا بمنهج الله وهدي رسوله وسلكوا في الحياة الدنيا، آخذين بالأسباب، مستظلين بهذا النور وسعوا لأن يكونوا في معية الله مدركين تماماً معني قوله تعالي" ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد٤]، فأخلصوا لله واقبلوا علي العمل بمنهجه سبحانه وتعالى طاعة وامتثالاً لم أمر به وما نهى عنه في تسليم كامل له وحده سبحانه.

لذا فمن الأفضل أن يكون لنا وقفة أخري علي الصفحات التالية، مع الإسلام وقهره للاغتراب وهذا الجزء إنما هو استكمالاً لما ورد في الفصل الأول المعنون: (التقوى).

الإسلام والاغتراب:

بداية أؤكد أنه في إتباع تعاليم الإسلام الحقيقية بقيمة الجوهرية ينتفي الاغتراب، سواء علي مستوي الذات الفردية أو الذات المجتمعية، لأنه في إطار العبودية الكاملة لله تعالي، والتسليم له وحده سبحانه والخضوع لعظمته وحده، تكون عزة الإنسان وكرامته، لأن ذلك يؤكد الامتثال الكامل للمنهج الالهي الذي

انزله سبحـــــانه وتعالي علي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين، وفـــي هذا قـــال تعـــالي﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾ [التوبة] ويتضح هذا الامتثال في إتباع ما أمر به سبحانه وتعالي وتجنب ما نهي عنه، حينذاك تكون السلامة في الدنيا ، وفي الآخرة ، لكل من الفرد والمجتمع هذا مع ضرورة الاخذ بالأسباب كفعل ايجابي حتمي أثناء حركة الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا.

ولقد أسفر التنظير الفلسفي والسوسيولوجي لمفهوم الاغتراب في بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة عن ن الاغتراب بأبعاده يتصمن قيم سلبية بها يتأكد وجوده، وهذه القيم السلبية قد نهي الله تعالي عنها، لأنها تنال من الذات الإنسانية الفردية والمجتمعية ، وقد اكد ذلك القرآن الكريم وهدي رسولنا الكريم محمد صلي الله عليه وسلم منذ أكثر من ١٤٣٠ عاماً.. ومثل هذه القيم سنتعرض لها في السياق المناسب لها علي السطور التالية .

أيضاً أسفر هذا التنظير عن أنه هناك بعض القيم في علاقة من نوع ما مع الاغتراب، منها قيمة (الانتماء) حيث حاجة الإنسان إلي الانتساب إلي كيان أكبر منه ليحتويه، وطالما تم له ذلك، فعليه أن ينصاع لِمَ يمليه عليه، وكم يكون الأمر مؤلماً اذا كان هذا الكيان مغترباً. فتكون أفعال الفرد ليست من صنعه، بل قد يفعلها مكرها لصالح هذا الكيان ويصبح أسيراً لها بعد أن فقد ذاته وصار عالمه ليس من صنعه بل من صنع ذاك الكيان الذي احتواه، فيزداد اغتراباً.

ومن أهم القيم الايجابية التي كشف التنظير عن مدي أهميتها: (الحب المثمر،الحرية المثمرة، الهوية، العمل المثمر، التعاون، العطاء، الأمانة، الانتماء، الولاء، الاستقرار النفسي... وغيرها"، ومع هذه القيم ينتفي الاغتراب عن الذات، وأيضا عن المجتمع.

فالحب المثمر هو ذاك الذي بموجبه يصبح الإنسان في قوة ايجابية تجعله محبوباً ممَنْ حوله، فالحب الحقيقي إنما هو من نفس تعرف حقيقة هدفها في الحياة، ووظيفتها الأساسية فيها ومعه تعلو القيم الإنسانية فيمارسها الإنسان تلقائياً وينتفي معه الإحساس بالقهر، ويؤدي عمله وهو راضي مطمئن في إخلاص وتفان وتعاون مع الآخرين، لأنه عرف أنه وجد ليكون، وعليه أن يعطي قبل أن يأخذ، ويعرف أنه يجب ألا يستعمله أحد، لأنه كيان له وجوده وفكره ومجهوده وناتج عمله، فهذا هو حق النفس الإنسانية، ولا يجوز لأحد أن يستعملها أو يستخدمها، كما لو كانت سلعة أو شئ، ولأنها وجدت لتكون فعليها أن تعي جيداً وظيفتها في الحياة وأنها إلي حين، وبعدها ستحاسب أمام خالقها علي أفعالها بميزان دقيق مثقاله الذرة، فالحب المثمر وليد حرية حقيقية، فكيف يكون الحب مثمر مع إنسان مقهور يحتويه آخر، وقد يكون مغايراً له تماماً، بل وربما يستعمله أيضاً، فيكون كل عمله ليس من صنعه، ولذلك فإن للعقل مكانة هامة بين كل من متغير (الحب، الحرية) بل ويمثل الحبل السري بينهما والذي يغذي كل منهما، معتمداً في ذلك علي مصادر المعرفة لديه. ما أجمل ان تكون مصادر معرفتنا من منهج الله تعالي خالقنا وخالق كل شئ وسبحانه ليس كمثله شيئ، وبيده ملكوت كل شيئ، وإليه يرجع كل شيء وهو علي كل شئ قدير.

- **أن الحب الحقيقي المثمر يلازمه قيم ايجابية مثل: العدالة، المساواة، الاحترام المتبادل، المسئولية، الأمانة ، الإخلاص وما شابهها** من قيم لها أهميتها في التفاعل الاجتماعي، فكيف يكون ذلك لإنسان مغترب خضع وسلم نفسه لكيان آخر يحتويه ويسلبه أفعاله- أي كان نوع هذا الكيان ... فرد كان أو مجتمع، مادي كان أو معنوي- كيف يكون له وجود وقد سلم نفسه لكيان آخر يستعمله كيف أراد ولحسابه ؟**هنا تكون أهمية العقل، وأيضاً أهمية القلب السليم وتصبح الحاجة إلي المعرفة الحقيقة ضرورة ملحة**، فالمعرفة هي التي تغذي العقل، فإما تأخذه إلي الطريق الصواب أو إلي الطريق الخطأ، ومن هنا تأتي **أهمية مصادر المعرفة**، حتي لا يحدث تشويش أو قهر أو إذلال أو إخضاع قد ينتهي بالفرد الي عبادة ذاته أو رغباته وهواه، ويصدق **قول الله تعالي فيه:** ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [الفرقان].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾ [الجاثية].

ولأن المجتمع هو مجموع أفراده، فكم يصبح الأمر صعباً حينما يسعى كل فرد لتحقيق **ما يراه لصالحه، وعلي حساب كل شئ وأي شئ في أنانية مفرطة، لذلك لا مصدر لمعرفة حقيقية في كيفية السلوك في هذه الحياة الدنيا الا المصدر الذي انزله لنا خالق هذه الحياة الدنيا، وخالقنا نحن البشر فيها ،**

وهو كتاب الله الخاتم ذلك المنهج الالهي الذي انزله سبحانه وتعالى للناس كافة علي رسوله الخاتم سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم الذي بعث للناس كافة وحتي تقوم الساعة ، هذا الكتاب الذي قال الله تعالي في حقه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) ﴾ [الانعام]

وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ [البقرة]

وقوله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤)﴾ [الكهف]

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾ [النحل].

وكذلك أتباع هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ما نطق عن الهوى بل علمه شديد القوى، وقد أمرنا الله تعالى بذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) ﴾ [احشر من الآية(٧)]

ولأن الله تعالى واحد أحد، فرد صمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد، بيده كل شيء وقادر على كل شيء، وخالق كل شيء، وإليه يرجع كل شيء ، وسبحانه ليس كمثله شيء، فإن الدين عند الله واحد هو الإسلام حيث التسليم لله وحده في عبودية كاملة حقيقية تتسم بالخضوع الكامل له وحده سبحانه، وحسن التوكل عليه، بعد الأخذ بالأسباب في حركة الحياة الدنيا لِمَ أمر الله به، وتجنب ما نهى الله عنه، حتى تستقيم الحياة الدنيا ويعيش

الإنسان في أمن وأمان، لتحقيق وظيفته على الأرض التي استخلفه الله تعالى فيها لإعمارها وإلى حين ..

والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالي لخلقه ديناً ومنهجاً ، وهو دين الكون كله :

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [آل عمر ن]

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)﴾ [آل عمران]

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ [آل عمران]

وقال الله تعالي :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣) ﴾ [المائدة]

وكافة أنبياء الله تعالى إلى عباده مسلمين ويؤكد القرآن الكريم ذلك في آياته الكريمة.

وقد امر الله تعالى سيدنا إبراهيم أن يسلم لله ودعا الأنبياء أبنائهم وذريتهم ليكونوا مسلمين:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) ﴾ [البقرة]

وقد أمر الله تعالي نبيه محمد صلي الله عليه وسلم أن يسلم لله :

قال الله تعالي :﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)﴾ [الأنعام]

وهنا يطرح سؤال نفسه وربما بإلحاح لدى البعض ألا وهو:

س: لماذا الإسلام؟ وما هي أهم ملامحه ودعائمه؟ وما دلالات ذلك؟

أن القرآن الكريم يعلمنا أن الإسلام هو الحلقة الخاتمة من سلسلة الوحي الإلهي والشرائع السماوية إلى الأنبياء والمرسلين والأمم والشعوب، وإنه جاء مصدقاً لم بين يديه من الكتب والصحائف التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على الرسل والأنبياء السابقين، وأن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم هؤلاء الأنبياء والمرسلين والمتمم لم جاءوا به من مكارم الأخلاق، فهو أولى بهم جميعاً. **وهكذا فإن الإسلام هو الحلقة الخاتمة والمرحلة المتممة لدين**

الله الواحد، وشريعته هي الطورالمستجيب لخصوصيات التطور الإنساني ولمتطلبات ختم النبوات والرسالات، وإكمال الوحي الإلهي، ولمقتضيات عالمية الرسالة، وخلود حجة الله تعالى على الناس أجمعين"(٨٢: ١١)

ولقد أوضح الدكتور/ محمد عمارة الإجابة عن هذا التساؤل الهام: لماذا الإسلام مشيراً بعظمه وفخر إلى هذا الدين القيّم **وذلك عبر إشارات، ودلالات في سلسلته المعنونة (هذا هو الإسلام) – نورد هذه الإشارات وتلك الدلالات فيما يلي:**(٨٣: ٤٧-٤٨)

- الإسلام هو دين التوحيد: الذي يبلغ في التنزيه قمة التجريد، فكل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك.
- **الإسلام هو دين القيّمـــة.**
- **الإسلام هو دين البيّنـــة.**
- **الإسلام هو دين البرهان.**
- **الإسلام هو دين العلـــم.**
- **الإسلام هو دين النور والاستنارة والتنوير بالله والرسول والقرآن والحكمة.**
- **الإسلام هو دين العدل: مع الذات، ومع الآخرين، ومع مَنْ نكره، وحتى** مع الذين يقاتلون أهله.
- **الإسلام هو دين التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف: في كل عوالم الخلق، والأفكار مع التوحيد للذات الإلهية التي ليس كمثلها شيء في الأرض ولا في السماء.**

- **الإسلام هو دين الحرية في الاعتقاد:** لأن الإيمان به تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، فلا سلطان عليه إلا الله، ومن المحال أن يتأتى بالإكراه.
- **الإسلام هو الدين الذي تفرد بتكوين الأمة، والدولة، والوطن والحضارة:** التي تتنوع في إطارها الشعوب والقبائل والألسنة واللغات والقوميات والشرائع والملل والألوان والأجناس والعادات والتقاليد والأعراف، فالوحدة فيها قائمة على التنوع ، والتنوع فيها قائم على إطار جوامع المشتركات.
- **الإسلام جمع في مصادر المعرفة بين عالمي الغيب، والشهادة:** حيث جمعت المعرفة بين العقل، والنقل، والتجربة والوجدان، فامتزج في ثقافة أمته كل من (الشرعي والمدني والروحي والمادي).
- **الإسلام هو الدين الذي مثل الإحياء العام للإنسان، والأمة، والحضارة، وللمواريث العلمية التي أبدعها الأولون، فكان انقاذاً لمواريث العلم الإنساني من الضياع.**
- **الإسلام هو الدين الذي أزالت فتوحاته قوى الهيمنة، والقهر، والاستغلال،** فحرر الأوطان الشرقية، وحرر ضمائر الشعوب، وترك الناس أحراراً وما يدينون، فكان المنقذ حتى للديانات التي لا يدين أهلها بالإسلام، بل والتي يجحد أهلها الإسلام الذي أنقذهم من الفناء.
- **الإسلام هو الدين الذي تآخي في ثقافته عالم الغيب والشهادة،** وآيات الكتاب الإلهي المسطور، وآيات الكتاب الإلهي المنظور، فكانت نظرته إلى الطبيعة باعتبارها خليقة حية تؤمن بخالقها وتتجه إليه بالحمد

والتسبيح، فكان إبداع حضارته مقترناً بإيمان إنسانه، وكانت التجارب والمنهج التجريبي مظهراً لعبقرية أمته في ميادين العلوم.

كانت تلك إشارات جادة وأمينة تعلن في صدق عن الإسلام وأهم دعائمه وملامحه، ربما قد يزداد الأمر وضوحاً إذا رجعنا إلى القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه نور حيث قال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) ﴾ [التغابن] لنقف عبر آياته الكريمة على أدلة قرآنية تؤكد تلك الدعائم والملامح التي أشارت إلى عظمة الإسلام وقوته، وفيما يلي بعض منها:

- "**الإسلام هو الدين القيّم:** أي الدين المستقيم والمقوّم لأمور الناس"(٨٣: ١١)

قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٣)﴾ [الروم]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ [الأنعام]

- "**الإسلام هو دين القيّمـــــة:** أي دين الأمة التي تسلك سبيل العدل والاستقامة"(٨٣: ١١)

قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)﴾ [البيّنة]

- "**الإسلام هو دين البيّنة:** التي تبين الشيئ وتوضحه حسياً كان هذا الشئ أو عقلياً، ولقد ورد هذا المصطلح (البيّنة) في القرآن الكريم في ثلاثمائة وسبعة وخمسون موضعاً.(٨٣: ١١)

قال تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)﴾ [الأنفال]

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)﴾ [الأنعام]

- "**الإسلام هو دين البرهان:** أي الحجة الفاصلة البيّنة، يقيم البرهان على عقائده وحقائقه، ويدعو الآخرين إلى البرهنة على ما لديهم من مقولات وتصورات"(٨٣: ١٢)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤)﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)﴾ [المؤمنون]

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤)﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ

يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)﴾ [النمل]

- **الإسلام دين علم:**

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)﴾ [آل عمران]

- **الإسلام إذ حاكم واحتكم إنما يحاكم إلى العلم وإليه يحتكم"(٨٣: ١٥)**

قال تعالى: ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)﴾ [الانعام]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)﴾ [الانعام]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) ﴾ [الأحقاف]

- **الإسلام نور واستنارة وتنوير إيماني:**

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ [النور]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)﴾ [البقرة]

- **الإسلام أوجب العدل في كل المعاملات حتى مع مَنْ نكره:**

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨)﴾ [المائدة]

- **"وأوجب الإسلام علينا أن يكون هذا العدل حتى مع من يقاتلنا"(٨٣:١٥)**

قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)﴾ [البقرة]

وقال تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ [البقرة]

- **الإسلام دين التنوع والتمايز والاختلاف:**

"لقد أسس الإسلام فريضة العدل مع الآخرين على سنة من سنن الله الكونية والتكوينية التي لا تبديل لها ولا تحويل، وليس على مزاج يتغير، أو خلق يتبدل، فالتنوع والاختلاف أي وجود الآخرين هو سنة من سنن الله في كل عوالم المخلوقات. **والواحدية والأحدية هي فقط للذات الإلهية**، ومن عداه، وما عداه في عوالم: الإنسان والأفكار والشرائع والملل والمناهج والثقافات والحضارات، والألسنة واللغات والقوميات والأجناس والألوان والشعوب والقبائل

– بل وفي النبات والحيوان والجماد – هذا التنوع والاختلاف والتمايز في جميع هذه العوالم سنة من سنن الله تعالى لا تبديل لها ولا تحويل، والتعارف المؤسس على التعايش والتعاون والتحاور هو المقصد الأسمى لهؤلاء الفرقاء المختلفين" (٨٣: ١٦)

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات]

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)﴾ [الروم ٢٢]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١١٩)﴾ [هود]

- **"وكل الشرائع الدينية التي توالت على امتداد علاقة السماء بالأرضي هي تنوع في إطار الدين الإلهي الواحد"(٨٤: ١٢)**

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)﴾ [الشورى]

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ [المائدة]

• والقرآن الكريم مصدقاً لما بين يديه من الكتب السابقة والصحف والألواح التي نزل بها وحي السماء على سائر الرسل الأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)﴾ [الأنعام]

• "والإيمـــــان الإسلامـــــي شامل للأيمان بأصول الدين الإلهي الواحد وبكل الرسل والأنبياء" .(٨٤ ٢٠)

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة] "فجميع هؤلاء الرسل والأنبياء إنما يمثلون تنوع الشرائع الإلهية في إطار الدين الإلهي الواحد"(٨٤: ٢٠)

• "والإسلام تجاوز الاعتراف بالآخر، وجعل هذا الآخر جـــزء مـــن الذات عندما قرر أن تنوع الشرائع السماوية إنما هو تمـــايز فـــي إطار وحدة دين الله، فلكل أمة شرعة أما الدين فواحد، والأنبياء- ومن ثم أممهم- أخـــوة، وأمهـــاتهم - أي شـــرائعهم - شـــتى، وأبوهم- أي دينهم- واحد" وفي هذا المعني وهذه الفلسفة(٨٣: ١٦) جـــاء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ,الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (رواه البخاري ومسلم وأبو داود الإمام أحمد)

• الإسلام يدعو كل فرقاء الأخر إلى كلمة سواء:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)﴾ [آل عمران]

• **وطالبنا الإسلام أن يكون الجدال معهم بالأحسن، وفي هذا قال تعالى:**

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦)﴾ [العنكبوت]

"فالكلمة السواء هي أصول الإيمان الثلاثة: (التوحيد لله، والأيمان بالغيب ، العمل الصالح) مع التنوع في الشرائع داخل هذه الكلمة السواء. ولأن الإيمان- في الإسلام وبالإسلام- هو تصديق قلبي يبلغ مرتبة اليقين، **استحال الوصول إلى هذا الإيمان بأي لون من ألوان الإكراه، فكانت القاعدة القرآنية المحكمة"**(٨٣: ١٨) **في كتاب الله تعالى:**

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة]

• **لذلك كان سبيل الإسلام إلى القلوب هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة**

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥)﴾ [النحل]

وقال تعالى:﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩) ﴾ [الكهف]."**وحسابه في الآخرة إلى الله وعلى الله أما في الدنيا فإنه له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين"** .(٨٣: ١٩)

• **ومن أعرض قلبه عن الإسلام يقول الله تعالى:**

﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون]

ونفي الله سبحانه وتعالى أن يكون الإكراه سبيلاً لتحصيل الإيمان يسهم في تفسير طبيعة مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم وطبيعة وسائله لنشر دين الإسلام، فهو (مُذَكِرٌ) بدين الله، وليس بمصيطر على القلوب حتى يكرهها على الإيمان.

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية]

"وفي هذه الآية المحكمة التي لم يصبها (النسخ) على الأصح، يقول الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م) إنها تحدد الأمر الذي بعث الله لأجله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم، فليس في سلطانه صلى الله عليه وسلم أن يخلق الاعتقاد فيهم، ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيباً على قلوبهم ولا مصيطراً أي متسلطاً عليهم، فالقهر لا يحدث إيماناً، والإكراه لا أثر له في الدين."(٨٥: ٢٣-٢٤)

"إن الإيمان – وهو أصل الدين وجوهره- عبارة عن إذعان النفس ويستحيل أن يكون الأذعان بالإكراه وإنما يكون بالبيان والبرهان"(٨٥: ٢٤).

قال تعالى :﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)﴾ [البقرة]

أن هـــذا القول الإلهي يمثل قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركناً عظيماً من أركان سياسته، فهـــو لا يجيز إكراه أحد على الدخول فيه، ولا يسمح لأحد أن يكره أحداً من أهله على الخروج منه " (٨٥: ٢٥)

"فالدعوة إلى الدين إنما تكون بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان"(٨٣: ٦٧)

والله تعالى يقول:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾ [يونس]

- **الإسلام هو دين النظر والتأمل والتفكير والاعتبار:**

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥)﴾ [الأعراف]

وقال تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١)﴾ [يونس]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [العنكبوت]

"لذلك قال كثير من فلاسفة الإسلام، انطلاقاً من هذا الأمر القرآني بالنظر، أي التأمل والتدبر والتفكير والاعتبار، أن الواجب الأول على الإنسان هو النظر، لأن النظر هو السبيل إلى معرفة الله تعالى" (٨٣: ٣٢)

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)﴾ [الغاشية]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧)﴾ [السجدة]

- **الإسلام لم يقف عند حد أحكام الدنيا ومعاملاتها، بل قرر الإسلام أمر النجاة يوم الدين وأن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا:**

قال تعالى:﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة]

- **ولا يمكن أن نتجاهل أننا محاسبون وأن هناك ملائكة يدونون أفعالنا.**

قال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ [ق]

- **"وإن الذين آمنوا بالتوحيد في الألوهية والربوبية، وبالغيب واليوم الآخر والحساب والجزاء وعملوا صالحاً وفق آيه شريعة من الشرائع الإلهية السابقة، لن توصد أمامهم أبواب النجاة في الأخرة"(٨٤: ١٦) والأمر كله بيد الله ويرجع إليه وحده سبحانه.**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ [البقرة]

إن القرآن الكريم هو المنهج الإلهي الخاتم، لخلق الله جميعاً، وقد كان مسبقاً تنزل الكتب السماوية على الأقوام علاجاً للقوم الذي انزل فيه كتابهم، وأخبرنا الله تعالى بذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)﴾ [المائدة]

ولأنه المنهج الإلهي الخاتم (القرآن الكريم) فقد انزله الله تعالى على الرسول الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين هذا القرآن الكريم انزله الله تعالى الى سائر خلق الله عرباً، وعجماً، وإنساً، وجناً، ولذا حفظه الله تعالى وكفل له سبحانه أسباب الدوام والبقاء وحال بينه وبين عوامل الزوال والفناء والتشويه.

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر]

ولأن الله سبحانه وتعالي أعلم بحقيقة خلقه، فبين سبحانه وتعالى في كتابه كيف تعيش النفس الإنسانية آمنة مطمئنة، منتجة لأفعالها، تعيش معني وجوهر الحرية الحقيقية المثمرة، ودلنا سبحانه علي الطريق الصواب لذلك، تجنباً للهم والكرب، والضنك، والعجز، والزلة، والغربة وغيرها من الهموم، وأن مفتاح الطريق لذلك هو تقوى الله تعالى حيث ذكر الخالق الله سبحانه وتعالي قولاً وعملاً بحيث يترجم هذا الذكر في حركة الحياة في كافة المواقف السلوكية علي تنوعها في تفاعل مفعم بالقيم الايجابية التي تعود علي الانسان بكل الخير، وبالتالي على المجتمع/ والأمة ككل.

وفي هذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)﴾ [طه]

وآيات ربنا أوردها سبحانه وتعالي واضحة في كتابه الكريم ويوضحها هدي رسوله الكريم المبعوث للناس كافة ورحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم]

وآيات ربنا إلينا جميعها تتمحور حول عبادة الله وحده لا شريك له، فهو خالقنا سبحانه، عبودية حقيقية تتسم بالخضوع الكامل والتسليم له وحده سبحانه طاعة في ما أمر به، وتجنباً لم نهي عنه، لنحيا علي أرضه التي استخلفنا فيها

لنعمرها والي حين، مستنيرين بمنهجه الكريم إلينا حتى تكون الحياة أكثر إنسانية يسودها الحب والعطاء والعدل والمساواة وغيرها من القيم التي معها تستقيم هذه الحياة، ويعيش الناس في سلام وأمن اطمئنان.

ولأنه لا إيمان مع أنانية، تلك القيمة السلبية التي تنال من الذات الإنسانية، وتنعكس علي الذات المجتمعية، فقد ابغض الإسلام الأنانية، ونفر منها، لأنها وراء كل المهالك والمفاسد، وهي مبعث الكراهية، وانتشار الأنامالية، والسلبية، ومعها يستحوذ القوي علي ما ليس من حقه في غفلة أو ضعف وتخاذل أو أكراه وإجبار للضعيف، الذي بدوره مكن ذاك الأناني من قهره واحتوائه، فكان العجز والعزلة والانفصال والاغتراب عن الذات، وربما عن المجتمع أيضا في آن واحد .

وفي الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. (متفق عليه)

والأناني لا يعرف الحب المثمر، لأنه يحب نفسه فقط ، وغالباً ما يسعى الأناني إلي كيان اكبر منه ليحتويه وليستمد منه القوة والعون لتحقيق أهدافه، وقد يكون الأمر صعباً إذا كان هذا الكيان هو أيضاً مغترباً، فتأتي أفعاله إرضاءً لهذا الكيان الذي ارتمي في أحضانه، وارتضي احتوائه له، وفقد إنسانيته، وأصبحت أفعاله ليست من صنعه بل أسيراً لها، وهي بالتالي سيدة عليه، لأنها فعل هذا الكيان الذي احتواه، لذا عليه أن يمتثل لها ويسير تبعاً لها، فيزداد اغتراباً لأنه رفض أو تناسي أو افتقد أن يكون حبه حباً حقيقياً، **لأن الحب الحقيقي المثمر بداية هو حب الله تعالي، والعبودية الكاملة له، في خضوع واستسلام له**

سبحانه وحده، هنا فقط يصبح الإنسان سيد نفسه وليس مغترباً وأسيراً لمَنْ احتواه،سواء كان كيان ما ارتمي في أحضانه، أو رغباته وشهواته وأهوائه، وهذا بالطبع يتعارض مع رغبة الأناني، الذي لا يحب إلا نفسه، ولا يحب لغيره ما يحب لنفسه التي أراد لها كل شئ ويسعى ليستحوذ عليه وعلي حساب أي شئ حتى ولو أدي الأمر إلي هروبه من ذاته وحريته الي كيان آخر يحتويه لإنجاز اطماعه وطموحاته وتحقيق رغباته. وهنا يكون الحب الزائف الذي فقد معه حريته الحقيقية، واكتسب حرية وهمية زائفة، وصارت نفسه هي ليست نفسه الحقيقية، وإنما نفس زائفة، لأن نفسه الحقيقية فقدها حين اسلمها لذلك الكيان الذي ارتمى في أحضانه أي كان نوعه: فرداً كان او جماعة أو سلطة خفية أو معلنة كالعادات والتقاليد ما شابهها، حينذاك يصبح بلا هوية حقيقية، وأعماله ليست من صنعه، وإنما هو أسيراً لها، بمعني أخر أنه أصبح مغترباً عن ذاته.

إن الإسلام يرفض الفردية ويؤكد علي الجماعة، ومع ذلك لا ينكر بل يشجع التفرد والتمايز ويري فيه جودة العمل الصالح، لذلك نجد أن الآيات القرآنية الكريمة إذا ذكر كلمة المؤمنون غالباً يتبعها وعملوا الصالحات، فلا إيمان دون عمل صالح يترجم هذا الإيمان سلوكاً وممارسةً في الحياة، ومعيار صلاحه هو ما ورد في المنهج الإلهي من قيم حثنا الله تعالي علي فعلها، فالمؤمن يعلم أنه عبد لله استخلفه في أرضه إلي حين لإعمارها، مستخدماً ما منحه الله تعالي من ملكات وقدرات عقلية وبدنية ونفسية تعينه علي حركته فى الحياة لتحقيق هذا الإعمار، متبعاً المنهج الإلهي وهدي رسوله الخاتم المبعوث للناس كافة ورحمه للعالمين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، فلا إيمان دون

عمل صالح يترجم هذا الإيمان سلوكاً وممارسةً ومواقف حياتيه علي أرض الواقع ينتفع به الإنسان وينتفع به أيضاً الآخرون.

إن الإسلام بقيمه ومفاهيمه إذا طبقت في الواقع الحياتي المعيش انتفي الاغتراب وانتفت كذلك كل القيم السلبية، حيث تنتفي العزلة، والعجز وأيضاً غربة الذات والانفصال، بل يسود التعاون والمشاركة الإيجابية والتفاعل المثمر القائم علي الوعي الحقيقي بالهدف من الوجود، وهو عبادة الله وحده سبحانه والتسليم والخضوع له وحده، والوعي بأن وظيفته في الحياة إنما هو إعمارها وإلي حين، بالعمل الصالح ، واليقين بحساب سيكون مثقاله الذرة، وينتهي بالفرد إما إلي جنات النعيم، وإما إلي عذاب الجحيم.

إن كل تكاتف وتعاضد ومشاركة إيجابية بصدق وإخلاص، وحب مثمر، هو علي طريق التقوى، وقد يكون في القوة المعنوية ما هو أعظم من القوة المادية رغم أهميتها، وكلاهما لا يبني إلا بالقيم الخالصة، والإخلاص قيمة هامة في بناء الذات الإنسانية الآمنه المطمئنة، وأيضاً الذات المجتمعية السليمة البنيان المتماسكة القوية.

إنه في إتباع قيم الإسلام وتطبيقها في الحياة الدنيا ممارسةً وسلوكاً، تنتفي الفردية وتتبدد الأنانية، ويتأكد التفرد والتمايز ويسود التعاون والمشاركة ويتعاظم الانتماء وشرف الانتساب وتتعزز الهوية، وينتفي الشعور بالعجز والعزلة والانفصال عن المجتمع لأنه حينذاك ستنتفي اللامعني واللامعيارية ويشعر الجميع بأنهم جزء من المجتمع الذي هو بهم ولهم ، فلا تقصير ولا تقاعس عن الالتزام بالحقوق وأداء الواجبات ... وذلك نتيجة لإتباع المنهج الاسلامى ،واتخاذ قيمه ومفاهيمه ركيزة للأفعال والسلوك من قِبل أفراده ، الذين

هم جميعاً يفترض فيهم أن يكونوا سواء لا تفاضل ولا تعالي لأحد علـــي آخـــر إلا بالتقوى والعمل الصالح، وفي هذا يقول الرسول الكريم محمد صلي الله عليه وســـلم. يا أيها الناس كلكم لأدام وأدام من تراب، لا فضل لعربي علي أعجمي ولا لأحمر ولا أسود إلا بالتقوى.(رواه الإمام أحمد في مسنده)

وهكذا ما كان لفرد ما أو مجتمع ينتهج القيم الإيجابية التي وردت في المنهج الإلهي وهدي رسوله الكريم، ويكون مغترباً، وإنما فى حال تجاهل القيم التي حثنا خالقنا سبحانه وتعالي علي انتهاجها كموجهات لسلوكنا في الحياة الدنيا، فإنه يتعاظم أمر الاغتراب بتوابعه السلبية علي كل من الذات الفردية والذات المجتمعية .

وإذا كان لمجتمع أن يحيا في إيجابية وفعالية ويتمتع أفراده بحياة كريمة بعيدة عن الاغتراب في تأكيد علي مشاعر الولاء والانتماء وشرف الاعتزاز بالهوية، فعلية الرجوع إلي كتاب الله تعالي إضافة إلى هدي رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم يلتمس المنهج الإلهي الذي أنزلة خالق البشر للناس كافة ليعلمهم كيف تستقيم الحياة الدنيا علي هذه الأرض التي استخلفوا فيها وإلي حين، وعليهم أن يعمروها، حينها تكون الحياة إنسانية كريمة، حيث تنتهج التقوي كقيمة جوهرية عليا توجه سلوك الأفراد منطلقة من الحب الحقيقي المثمر ويسودها الحرية الحقيقية مدعومة بالقيم التي تعضد تماسك المجتمع وتطوره، وتوجد ذاك المجتمع القوي السليم الذي يحتوي أبنائه في حب وإيجابية في تقدير بالغ لمعني الحقوق والواجبات حينها ينتفي الاغتراب بكل أبعاده سواء علي مستوي الذات الفردية أو الذات المجتمعية.